الحب في زمن الفراعنة

الحُــب
في زمن الفراعنة

نانيس جنيدي

اسم الكتاب: الحب في زمن الفراعنة
اسم الكاتبة: نانيس جنيدي
تدقيق لغوي: مصطفى جاد
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – ديسمبر ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 / 23721

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

إهداء

إلى الحاضر في أحلامي، الغائب عن واقعي، إلى من وهبني الحياة،
إلى من كنت أقف على أطراف أصابعي الصغيرة كي أتمكن من معانقته،
إلى من غرس في قلبي حبه إلى آخر أنفاسي. واحترامه إلى آخر أيامي،
إلى من علمني من أكون وكيف أكون.
إهدائي إلى من أمسك بيدي لأخط أولى حروفي،
إلى من آمن بي قبل أن تولد كلماتي،
إلى من كان ومازال عزتي وعزوتي وعزيمتي وفخري.
إلى الاسم الذي ما زلت أسير تحت حماه ورأسي في السماء شامخة.
إلى من اختار ملكة عمري لتتوجني بتاج الفخر كونها أمي.
إلى من أهداني شمسًا وقمرًا يضيئان سماء عمري "أختي وأخي"
اليوم أهدي كتابي الأول إلى روح الحبيب الأول،
إلى أبي ... (حشمت جنيدي) رحمه الله.
كم تمنيت أن تقرأه ولكني على يقين بزيارتك لي ذات يوم في منامي
لتخبرني عن رأيك، وتمدني بالأمل كما عودتني.
كم أحبك أبي ..

قيل عن الحب :

الحب أعمى

(أفلاطون)

تكلم هامسًا عندما تتكلم عن الحب.

(وليم شكسبير)

الحب جحيم يُطاق . . والحياة بدون حب نعيم لا يطاق.

(كامل الشناوي)

.الحب سلطان ولذلك فهو فوق القانون
.الحب كالحرب من السهل أن تشعلها . . من الصعب أن تخمدها
.الحب لا يقتل العشاق . . هو فقط يجعلهم معلقين بين الحياة و الموت

(بيرون)

..ما أقوى الحب ، فهو يجعل من الوحش إنسانا ،
وحينا يجعل الإنسان وحشا
..ما الحب إلا جنون .

(شكسبير)

..الحب دمعة وابتسامة

(جبران)

..الحب هو الدموع ، أن تبكي يعني أنك تحب

(سانت بوف)

..العشق مرض ليس فيه أجر ولا عوض

(الإمام علي)

"الحب هو اثنان يضحكان للأشياء نفسها، يحزنان في اللحظة نفسها، يشتعلان و ينطفئان معا بعود كبريت واحد ، دون تنسيق او اتفاق"

(احلام مستغانمي)

الحب سلطان غشوم

(وائل جنيدي)

المقدمة

بقلم الكاتب الصحفي / أبو بكر عبدالسميع نائب رئيس تحرير الأهرام

الحب عند ملوك مصر القديمة وعند الفراعنة اتخذ اشكالا مختلفة اصطفي من تلونية الزمن مساحات شاسعة تغطي القلب باخضرار منظره وببياض لوحته وبسواد تحديد رسمه، بقلم الزمن الذي اختط من فترات تاريخ حضاري اسلوبا بعصرنية وجوده، ولا يفوتنا ان الحب بين الملوك والأمراء وحكام الأقاليم مثله كالحب بين عامة الشعب المصري في الشحم والعظم واللحم، و لكن الحب –الملوكي أو الفرعوني– يختلف كثيرا عن عادات الشعب المصري ، فالحب الفرعوني وإن مسته نفحة من الحب - الأفلاطوني– إلا أن الزواج شاع بين الأخ واخته ..حفاظا على الدم الملكي لديمومة الجلوس الالهي على عرش مصر بقلب إنسان يحب وجسد يبحث عن تناسل كشرط الدوام والاستمرار من الفرش إلى العرش ، تحمله سلالة التنقل اكتنازا ذاتيا فيسكن في سُلامة الجسد بعد أن يضرب الحب وتر القلب

فتقوم العلاقة بين الفرعون وزوجه متخذة تشبث بقاء حتى وإن سقطت جيوش وعروش، فاستمرار الدم الملكي يجب أن يصمد ويدوم ولايزول، ولكن يجب أن نشير الى أن زواج الاخ من اخته لم تكن عادة متبعة بين المصريين؛ انما كانت جبلة متنقلة وسجية فعل متبعة واسلوب حياة بغير هدنة من معركة حفظ النوع بسلاح اصطفاء الجنس في الحكام فقط، وهي بدعة لم يخترعها الملوك والفراعنة المصريون؛ بل ظهرت من قبل في اليونان كما كانت عند اليهود، ومن أراد أن يكتشف ذلك عند اليهود فليقرأ ما يسمي ب-التوراة المحرفة – فقد جعلوا زواج المحارم حقاً متبعاً وملكاً مشاعاً واتخذوا -كذبا – من بعض الأنبياء نماذج، كقولهم على سيدنا لوط (إفكا عظيماً) اذ جعلوه يتزوج بنتيه وينجب منهما وكذلك قالوا -كذباً- على نبي الله يعقوب ..واختلفت الاراء حول المصريين ليس على البدعة الشاذة السيئة وتعاقبها في الملوك الفراعنة، بل في تاريخ وصول تلك العادة الى ملوك قدماء المصريين والفراعنة، ولكني أكاد أميل إلي أن -الفرس- عندما احتلوا مصر نقلوا بدعتهم المخالفة للطبيعة إلي مصر ففي الديانة الفارسية القديمة زواج الأب من البنت وزواج البنت من خالها وعمها وزواج الابن من زوج أبيه ومن عمته وخالته ذلك الأمر الذي يُعرف ب-زنا المحارم- وقد ظل يمارس بين ملوك اوروبا كملوك فرنسا وانجلترا والسويد وأسبانيا

حتي العشرية الأُولى من القرن العشرين، وعندما وجدوا بعد الانفتاح العلمي وانتشار الأمراض العضوية والنفسية تُصدر إليهم كل السوء وتنقله بجمرك هذا الزواج؛ ابتعدوا عنه بعد تبين اصابة مواليد هذا الزواج بالأمراض النفسية مثل الهوس وضعف الشخصية والأمراض العضوية فيحمل رحم المرأة جنينا ناقصا، مع أن الفراعنة اكتشفوا ذلك وإن لم يقتربوا من فهم يقودهم إلي محيط توقف وامتناع كما حدث في القصة التي كتبتها - نانيس جنيدي- في مجموعتها القصصية التي بين دفتي كتاب –الحب في زمن الفراعنة– مثل تتبعها لحب جمع بين توت عنخ امون ونفر تيتي.

والمؤكد تاريخيا والثابت علميا أن المصريين أو الشعب، احترموا المرأة فصانوها وأحبوها وعشقوها باحترام وكما تسجل البرديات الكثيرة ماكان يجري من حب على ضفاف نيل مصر كما يحدث الآن فقد جلس العشاق المصريون علي النيل فهام المحبوب في المحبوبة والعاشق الولهان ذاب وبقي الحب وسنينه واقْتُبست كلمات حب اقتطفت من ثمارحديقة الحب الفرعوني الشعب وحكامه كل يحب وكل يعشق.

ومع المجموعة القصصية للصحفية الأديبة –نانيس جنيدي– التي عاشت حبا في سالف العصر والأوان فتصوره لنا بمهارة بعدسة زمننا المعاصر والمعاش، عدسة بماكينة الكلام كاميرا قصصية، فلاش اضاءة

واضافة تسليط الكادر وتحديد اللقطة تمتلك- نانيس جنيدي- في قصصها القصيرة الأربع روحاً ترحل علي بساط القلب بساط ريح بأجنحة شخوص ملكوا مصر ،ولكن الحب امتلكهم وربما استعبدهم فاحترموا جبروته فما يملكون له دفعا أوردا أو درءا ، وفي تلك المجموعة القصصية نجد –نانيس جنيدي – لم تتخذ شكل الكتابة – البيو غرافيا – التي تعد ترجمة حياة أو سيرة حياة او السيرة الغيرية، بل غلبتها الحبكة الدرامية باللغة السردية فكانت تتحرك في قصر المحبين قدماء المصريين والفراعنة تدخل حيث تلتقط أنفاس المحبين سواء عند أداء الطقوس والكاهن الأعظم والكهنة حوله ينثرون الورود علي نار البخور الهادئة والموسيقي المختلطة بالعطر المندي والراقصات يتمايلن يمينا ويسارا جيئة وذهابا والسحرة يعرضون ألعابهم والشعب المصري سعيد بما يشاهد عن قرب أو من بعد ثم تخطف – نانيس المشهد كله فتجعلنا ننتقل طواعية من مشهد رأي العين الي مشهد كامن في القلوب مستتر بين الضلوع بين دم ولحم فتكتشف ونكتشف معها الفرعون متلبسا بحب من أول نظرة أو حب تجذر في الصغر وتشجرت أغصانه في حدائق الشباب والقوة والجمال والجلال، نانيس جنيدي تفعل بنا كذلك ولم تتركنا ننفض من –الفُرجة القلمية– فتدخل غُرف النوم حيث نري أرائك أيك المحبين وهما يغردان والاسرة التي تسجل علي صفحات

القلوب كلمات الحب الصادق وهما يتناجيان همسات الإخلاص العاشق، وهما يتهامسان ثم تتسلل–نانيس جنيدي– فتفتح بمفاتيح سن قلمها قفول خزائن أسرار الدولة فنسمع –نحن– الحرب والسلام والآمال العذاب وصيحات القلب وطبول دقاته العنيفة والرقيقة في آن، هو حب نشأ في قفصه الذهبي تحرسه تقاليد ذات دوائر محكمة وتصنعه فرص طيعة مرغمة طمعا في امتلاك الفرش والعرش والحب والعشق والغرام، وكان الحب طعما لذيذا في فم الدنيا، والغرف بيد الحب من نهر لم ينفد معينه وإن نفدت السنوات وانقضي العُمرُ، فنهر الحب مداد عطاء ليس للمحب وحبيبته مرجعية وجوده فقط بل هو مداد كتابة خالدة، بدليل وصول نقش القلم القدري ووصوله إلينا من خلال أوراق البردي أو كتابات احتفظت بالمحتفظ به فحفظته الأزمان؛ هدية تجليات أحاسيس ومشاعر ونفحات شجن وخلجات وجدان .

نعيش مع – نانيس جنيدي – فتحرك مسار قلمها بطابع يجمع بين البيوغرافيا ولغة الفيلم إذ أنها احترمت التسلسل الكرونولوجي للتاريخ والحدثان التي جرت فيه من خلال عملية تركيبة تكون منها أربع قصص بينهم ارتباط رغم انفصال الزمن بينهم ، أو ما يمكن أن يسمي بلغة الدراما ..قصص منفصلة متصلة منفصلة زمنياً، متصلة بالحالة والحاجة والرغبة

والخوف وعطش الحب وسقيا نعيمه وقدر كدره وعذب توظيفه ووجع كده واستراحة النصر فيه وغارة تغاير الهزيمة الطائشة في لحظة خاطفة ارتجالية .

لقد شاع بين النقاد الذين يستندون في رأيهم علي – الرجال العظام – الذين صنعوا لأنفسهم مكانة في التاريخ فعاش اسمهم فيه ثم هم –أيضا– يعيشون بعملية الاستيلاد من رحم التاريخ ونتسائل أين دور المرأة العظيمة من ذلك؟ ربما كتبت–نانيس جنيدي– قصصها الأربع بذكاء الأُنثي وغيرتها التاريخية علي دور– المرأة – والحفاظ عليه وحمايته من الهدر والضياع فكانت المرأة– الفرعونية– الشغل الدافع لنانيس دفعها ذلك إلي كتابة مجموعتها القصصية.

تتبعت –نانيس جيندي – سير الرجال والنساء –الحبايب – كل اثنين سوا اولئك الذين في الطبقة العليا من مكونات هرم النسيج المجتمعي المصري القديم، فكانت سيرة الحب وآهاته وخلجاته وصراعه الداخلي وانكفاء الحب حصريا بين شخصين اعتكاف بين قلبين فتوحدا، فنسج الحب خيوطه علي نول دولاب الكون. ونحن نلحظ أن نانيس جنيدي قصرت كتابتها علي الحب فقط وكان بإمكانها أن تتوسع في متابعة حكايات صنعتها دراما الحياة جرت بين الحبيبن او ارتبط قدرهما بذلك الحراك القدري الغيبي مثل الصراع علي السلطة وقيام الانتفاضات الداخلية

ومفاجأة الهجوم الخارجي والدسائس والمؤامرات كل منها تكون شبكة اصطياد درامي تفتح شهية اتساع قماشة السرد إلي أبعد حد يتجاوز القصة القصيرة ويكون جهوزية رواية، ولقد أطاحت –نانيس جنيدي بكل ذلك عن قصد وعمد أو ربما رأته حشدا محشورا طفيليا لايخدم وجهة السرد فولت وجهها شطر هدف واحد هو الحب المنغمس في صراعات ودوامات تحاصر، وهنا كانت–نانيس جنيدي أشد وعيا ومعرفة بجس نبض قلب المحبين ولمن تكتب وعن من تكتب ولمن تخاطب وهي تكتب؟ وهذا يجعلنا نرفض رفضا قاطعا رأي الناقد الأدبي الكبير –بردويل –الذي ذهب إلي أن الزمن القصير بذبذباته الانفعالية في القصة القصيرة زمن الاحداث المرتبط بالتاريخ التقليدي السردي تاريخ كرونولوجي يجب أن نتجاوزه، ..فهذا رأي فيه اعتوار كبير، إذ قصر الزمن في القصة القصيرة يعتمد علي تشيؤ التناول السردي بتخطي التفاصيل كلها والوقوف بالزمن عند حدث معين، لب الموضوع والبناء منه عليه، ونري ضرورة أن يسرح خيال الكاتب / القصة القصيرة والرواية والومضة / ويعلو في الفضاء الطويل العريض بالسرد التخييلي كمحكي ونظام، فأبو الرواية التاريخية –والتر سكوت / ت ١٨٢٢صاحب روايات –ويفري وايفانهو ويفرلي – وواضع اساس الكتابة الروائية الذي ارتدي من جاء بعده معطفه وكما يوضح –خالد فؤاد طحطح

- في كتابه / السيرة لعبة الكتابة- قائلا: "الرواية التاريخية والقصة القصيرة التاريخية- عمل سردي يرمي الي اعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخييلية حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلة"..وهكذا فعلت نانيس جنيدي ..نقلت ذكية بين الواقعي والتخيلي وإن كنا نلحظ تدشينها لشخصيات واقعية بالنفس الكتابي الواقعي وبالروح المتخيل، كما استخدمت نانيس جنيدي الأساليب البلاغية، ربما نقلا أحيانا من مصدرها الحقيقي بالنص والمعني أو بالروح والمعنى وذلك من خلال اللغة الحوارية بين الحبيبين، إذن -نانيس جنيدي- اعتمدت في مسيرة رحلتها مع الحب الفرعوني على ديناميكية قولبة اللفظ لخدمة الخط الدرامي، وتلك مزية لابد منها في عملية السرد بالوعي الجمعي بين اللفظ والمعني حتي ولو تاريخيا أو كما سماه –دو سيرتو- الخيال القريب من الواقع كعملية احياء جديدة لشخصيات ماتوا ثم وجدوا في العمل الادبي أو كما قال –ماكس كالو – "أري الواقع بعيون الشخصيات المدروسة وفي الوقت نفسه أتناول الناحية النفسية للشخصية"وخروجا من تلك القضية وبعيدا عن جدلية. مقولة شغلت النقاد وهي: القصص تروي ولاتعاش والحياة تعاش ولاتروى، فإننا نميل الي رأي –بول ريكور – الذي أزاح هذا الجدل بمنظومة القصص تروى ولكنها تعاش علي نحو متخيل أ و الحياة تروي ويعاش السرد.

فالشخصيات التي عملت -نانيس جنيدي- علي استعادتها، هي شخصيات واقعية عرفت الحب فآمنت به واعتقدت في وجوده، وكيف لا وهو يفعل في النفوس مجموعة أفاعيل ربما كانت سببا مباشرا أوغير مباشر تهد دولا وتقيم اخري كما حدث مع كليوباترا التي كتبت عنها -نانيس جنيدي -وكما حدث مع الوزير-آي- الذي كان سم تفكير يختفي في رأس الأفعي الخبث الوسواس الخناس فاغتال المحب توت عنخ امون ليحرم – نفرتيتي– من حب مازلنا نعيشه! لقد تم ذلك بمكيدة مدبرة وحتي هذا الوزير-آي- الطامح الطامع فيما ليس له فقد وقع في بحر الحب واكتوى فقد أحب –نفرتيتي- لدرجة أنها ضبطته متلبسا بنظرات عيونه يمسح جسدها مسحا، ويحاول أن يقتحم أسوار قلبها بعين اشتهاء وقلب غريزته بلا انتهاء وروح طماعة فيما ليس لها! فنهرته -نفرتيتي – وتوعدته بالعقاب الشديد وهو القتل إن هو عاد وأنى له؟ فالرجل كان يريد الحب ولكنه أخطأ عندما جعل مع حبه قاتلا همجيا إنه العرش وأُبهة السلطة فخلط بين الاثنين فكان لخط القلم القدري سطوره المخالف.

وكانت –نانيس جنيدي – القاضي الذي دافع عن شرف الحب وبروح قانون الإنسان التمست العذر تلو العذر وبكي قلمها وفرح بقصص حب بعثتها –نانيس جنيدي – بعثا جديدا برسائل تتخطي قيامة الزمن المفقود.

الحب

الحب إن سكب في كفي الحبيبة وغمس فيه الحبيب قلمه، جعله يكتب في العشق مالم يكتبه قيس في ليلى.

الحب هو أشواق تحملها الغيوم كساعي بريد تمطرها فوق القلوب لتحول أصحابها إلى شعراء ينطقون ويخطون حروفًا من نور ونار

قيل عن الحب سلطان، توج على قلوب العشاق فوجب علينا حينما يذكر الحب، أن نعدل من جلستنا ونخفض أصواتنا ونعلم أننا في حضرته علينا اتباع طقوس الاحترام والإجلال .

قادر هو على تعمير قلب أو تدمير عقل، قادر على إعطائنا الروح أو جعلنا أمواتًا على قيد الحياة

هو هزة أرضية عنيفة تجعل الجبال تتعانق، هو بركان ونحن ضحاياه، تثور حممه فتذيب القلوب وتصبح أسيرة له

هو سماح منا له بأن يجتاح ويسطو على كل ما بنا.

هو رفض لكل ما هو سوى الحبيب، هو النجاة والهلاك، هو الفقد والامتلاك .

الحب يظهر لنا بداخلنا أشخاصًا لم نكن نعلم بوجودهم،

لم نكن نرى فينا كل تلك المشاعر، لم نكن نعلم أنه بإمكاننا أن نبني مدنًا ونهدم أخرى، أن نضيء سماءً ونطفئ براكينًا.

الحب هو حياة أخرى نعيشها ولكن...

من أين تعلمنا الحب ؟؟

الحب ليس درسا يلقى على المحبين، ليس له كتب أو أسس

لا يعترف بأديان أو بلدان

الحب قوة.

قوة خفية تظهر مالم نعلم بوجوده، قوة تحول الاستكانة الى عنفوان للحفاظ على الحبيب.

وحيث إن الحب قوة ...

ففي هذا الكتاب أتحدث عن الحب في عصر القوة .

نتحدث عن جانب أخر، جانب غامض، لم يظهر ولم يره أو يتحدث عنه الكثيرون

(الحب في زمن الفراعنة)
الجانب الغامض في حياة الفراعنة

الحب ضعف ولكن قناعتي أن الحب قوة؛
بحثت في عصور القوة عن قصص تثبت لي قناعتي ...
وعندما أذكر عصور القوة فلن أجد أفضل من عصر الفراعنة ..

فهم أول من قدسوا الحب وجعلوا له آلهة وبنوا لها معابد ليتعبدوا لها نحتوا على جدران معابدهم عبارات ونقوشات تصف الحب ومدى تقديرهم وتقديسهم لدور الحب في حياة الفراعين.

كما نجد أن هناك الكثير من البرديات التي تصف حالات الحب عند الفراعنة، ونصائح الكهنة للحفاظ على حب شريكة الحياة والأسرة.

(الحب سلطان ولذلك فهو فوق القانون)

(بيرون)

١

(الملك أمنحوتب الثالث والملكة تي)

اليوم تحتفل مصر بعيد الأوبت (عيد الإله آمون) .

من معبد الكرنك، يخرج موكب ضخم من الكهنة يحملون الزوارق المقدسة للآلهة وتمثال «آمون» المرصع بالذهب على أكتفاهم.

وخلال سير الموكب، يجري الاحتفال بعزف الموسيقى وتضرب الطبول ويرقص الناس ويرفعون الأعلام الملونة بألوان صاخبة، احتفالا بالتتويج الجديد للفرعون.

وعندما يصل الموكب إلى ضفة نهر النيل، ومن المرسى النهري الخاص بمعبد الكرنك، تنزل الزوارق الذي يقودها الفرعون في النيل، ويقف أبناء طيبة على جانبي الشاطيء أثناء سير الموكب النهري ليشاهدوه ويسعدوا بقوة فرعونهم، وتجديد تتويجه.

كان الفرعون (أمنحوتب الثالث) شابًا يافعًا يمتلك كل مقاومات الفرعون العظيم، واقفاً في مقدمة الزورق رافعًا رأسه في شموخ، يلوح بيديه إلى أبناء شعبه الذين وقفوا جميعًا ربما ينال أحدهم نظرةً من الفرعون.

على مدى بصره وقعت عيناه عليها، طالت نظرته، كانت تقف وسط أبناء الشعب المحتفلين بعيدهم تلوح بعلم ملون بيدها، تسير موازية للموكب على اليابس، كانت فتاة جميلة ترتدي ثوبها الفرعوني، يعلو صدرها قلادة مرصعة بالأحجار الملونة، يدل مظهرها على رقي مكانتها و سمو نشأتها، كحلت عينيها باللون الأسود وأحكمتها بتلك الشرطة الطويلة على الجانبين فأربكت قلبه الذي كان قد عزف عن الحب، غازله جمالها دون قصد فرمت بسهم هواها قلبه.

ظلت تسير بجوار موكبه النهري، فتارة كان يلوح لشعبه، وتارة أخرى يلوح لعينيها قلبه.

وفي لحظة غابت عن نظره فلم يعد يراها، بحث عنها في وجوه الحاضرين فما وجدها، وكأنها عروس النيل و قد ذابت في مياهه المقدسة.

أكمل الفرعون طقوس الاحتفال، وصورتها تداعب مخيلته.

أتم يومه وبات ليلته هائمًا، طبعت ملامحها في ذاكرته، بات يتذكر ملامحها الجذابة ونظراتها الواثقة، غلبه النعاس وهو يفكر في حسن طلعتها.

كان الملك أمنحوتب الثالث مولعا بالصيد، كان ماهرًا ومشهورا بكثرة جولاته ورحلاته للصيد، خرج في رحلة صيد استغرقت عدة أيام، ثم عاد لقصره والخدم يحملون الغنائم من ثيران وأسود.

أمر بأن يأتوه ب(تويا) مغنية الإلهة حتحور ورئيسة احتفالات كل من الإلهين مين وآمون، لتنظم حفلًا بالقصر بعد عودته ليقضي بعض الوقت الممتع يتسرى فيه بعد مشقة الرحلة.

وحين غابت الشمس وملأ القمر سماءه بلونه الفضي، بدأت فقرات الحفل الخاص للفرعون، بدأت تويا تشدو بصوتها العذب وتتمايل على نغماتها الفتيات الفاتنات، يجلس الفرعون على عرشه مسترخ الأعصاب مستعذبًا الكلمات، مستمتعا بصوت نوراني يتلألأ في جنبات قصره، يشاهد الراقصات يتمايلن في دلال على وقع دقات قرع الطبول، تقف الخادمات من حوله تملأن له الشراب كلما فرغ، وإذا بحسنائه تقف بعيدًا في ركن من أركان البهو تتمايل برقة وعذوبة مع الألحان.

زاد ضخ الدم في عروقه وكأن قلبه قد ارتبك، قام من جلسته متجهًا إليها مباشرةً فلفت انتباه كل الحاضرين.

تنظر إليه (تي) في زهول، بل خوف، لا ..بل فزع، هي لا تعلم أي خطأ ارتكبت ليأتيها الفرعون بنفسه.

وصل إليها ووقف مواجهًا لها مباشرةً، تلاقت العيون، ساد صمت دافئ، تحدثت المشاعر والأحاسيس، ثبتت عينيه في عينيها وأطال النظر، راح بنظراته يعيد ترتيب خصلات شعرها، فاستجابت لعينيه الخصلات

وتحركت، راح بنظراته يلامس وجنتيها حنوًا.. فأغمضت، راح يلملم مشاعرها المتبعثرة، ويبعثر أنفاسها المتلاحقة.. فتنهدت، سبح كلاهما في فضاء لم يؤنسهما فيه سوى نجوم متلألئة تنير لهما طريقهما إلى جنة الحب، إلا أن صوت الهمهمات من حولهم قد تعالى فاستفاق الفرعون ليسألها:

= من أنت؟

_ أنا تي.

=ومن تي؟

أجابته تويا المغنية:

_ إنها ابنتي يا مولاي الفرعون، ماذا فعلت؟

= لا يا تويا هي لم تفعل شيئًا، لم يحدث شيء، فقط كنت أستعد للذهاب إلى غرفتي، انهوا الاحتفال.

قالها الفرعون واتجه إلى غرفته الخاصة ليختلي بما علق في ذاكرته من عطرها قبل أن يبرح أنفه، وصورتها التي أعادت تحديد ملامحها بعينيه عن قرب.

_ ماذا بك أيها الفرعون، إنها مجرد فتاة من عامة الشعب، كيف استطاعت تلك الفتاة أن تشغل بالك إلى هذا الحد!

كان الحب يتقدم نحو قلبه له وقع كوقع حوافر الجياد، كان حبها إحساسا أتى إليه من زمن آخر، إحساسا هو لا يعلمه، ولكنه يستطيع أن يتشمم رائحته.

سبح أمنحوتب في مجرة الحب، رأى الكواكب تتعانق رغم البعاد، تتباعد وتتقارب، تتلاقى وتتصادم، ينطفيء أحدها وآخر يضيء حياته، الحب ليس بأيدينا، نحن فقط في مساره مُسيَّرون، نتعثر بعطر من نحب أينما ذهبنا، يملأ حياتنا وجودًا حتى في الغياب.

*****

كانت تي فتاة جميلة تتميز بقوة الشخصية ونظرة ثاقبة متعمقة للأمور .

نشأت في جو أسري مستقر تنتمي لأسرة ذات مكانة رفيعة ولكنها لا تمت للدم الملكي بصلة، إلا أنها تربت في كنف الملوك وألفت قصورهم ولديها عنهم فكرة ليست بقليلة، هي ابنة (يويا) مستشار الفرعون وقائد عرباته و(تويا) مغنية الإلهة حتحور ورئيسة احتفالات كل من الإلهين مين وآمون، ولأن أمها من حريم قصر الفرعون، فكان تواجد(تي) في القصر الملكي متكررًا وطبيعيًا، كانت تهوى الرقي في تصرفات الملوك وتستمتع

بمتابعة الأزياء الملكية وكأنهم أناس هبطوا على أرضنا من كوكب أخر غير كوكبنا، كانت (تي) تنظر للحياة الملكية وكأنها تراها من خلف لوح زجاجي، هي _حقا_ تراها بوضوح بفضل قربها منهم، ولكن الوصول إليها يعد مستحيلًا.

حتى التقت أعينهما للمرة الثالثة في يوم لم تحسب أنه آت.

كانت تقف في حديقة القصر تراقب الفراشات التي ترفل فوق الأغصان، تداعب برفق بتلات زهرات رقيقات، حين استادرت فجأة لتجد الفرعون أمنحوتب بذاته واقفًا خلفها يتأمل ما تفعله صامتًا، إحمرت وجنتاها كزهرات الربيع خجلًا، اخضرت أغصانها وأورقت، رحبت الزهرة بساقيها وهللت بقدومه، تبادلا حديث العيون وتلاقت الأرواح، لكنها نظرت إلى الأرض واستأذنته في الانصراف، وقبل أن يأذن لها همت بترك المكان.

أمسكها من ذراعها الأيمن بيمناه قبل أن تذهب، فأصبح وجهها مقابلاً لوجهه:

= أنا لم أأذن لك بالانصراف.

_ عفوًا يا مولاي، ولكني أردت أن أترك لك المكان حتى لا أزعجك.

= ومن قال أن وجودك يزعجني؟ ربما يسعدني!!؟

نظرت تي في عيني فرعونها دون أن تنطق حرفًا، لم تعد تتذكر من الأساس كيف تنطق الكلمات، هربت الحروف من على شفتيها وتلعثمت، أما هو... فقد أهداها ابتسامةً جعلت من ليلها نهاراً لا يعرف النوم.

تكررت المقابلات والأحاديث بينهما، تارةً صدفة وتارةً على موعد، ومع كل مقابلة كان يهديها زهور الجنة دليل الحب، وكل مرة يترسخ بداخله أكثر وأكثر أنه وجد قبلته

أما هي... فهي لم تكن تعلم ماذا يحدث لها، ثمة شيء يعيد صياغتها، يعيد تكوينها من جديد، تاه العقل وسلم كل مقاليد أموره إلى القلب لم تعد تفكر أو تحسب، هي فقط تنتظر اللقاء القادم بلهفة وشوق عارمين، لتحصل على زهرتها التي يهديها إياها وتسهر ليلتها تناجيها، وتسألها عن معنى ما يحدث.

حقا اشتعل فتيل الحب وأوقد قلبيهما، حتى قرر الملك أمنحوتب أن يصارح تي ابنة الكاهن بحبه، بعدما اخبرته عيناها أنها في الإنتظار، فقد أصبحت هي مصدر سعادته الوحيد، بات لا يستطيع العيش بدون عينيها اللامعتين الناطقتين بحب لا عقل له.

وذات صباح كان قد طال ليله في التفكير.. ذهب الفرعون إلى غرفة العرش وأمر أن يأتوه ب تي. وأن يخرج كل من بالقاعة من خدم وحرس.

وكلما مرت تي بأحد خلال طريقها إلى غرفة العرش، كان يسألها:

= ماذا فعلتي يا تي؟

= لماذا يطلبك الفرعون ! ما خطبك؟ ماذا فعلتي!؟

وصلت تي إلى باب القاعة وقد قضي تمامًا على كل ما لديها من أعصاب، لم تعد تقوى حتى على التظاهر بالتماسك.

كانت تحدث نفسها:

= ترى ما سبب استدعاء الفرعون لي!

كان قلبها يحدثها حديث مطمئن، ولكن عقلها يرفض تصديقه.

دلفت إلى القاعة ولم تجد بها إلا الفرعون، وعلى غير طبيعته فهو لم يكن جالسًا على عرشه، بل كان واقفًا لاستقبالها، اقتربت منه وهي تهمهم بحروف غير مفهومة، ضحك الفرعون وقال لها:

= ماذا تقولين؟

خرجت منها حروف متقطعة

_ نعم يا مولاي فقد أرسلت في طلبي.

= نعم أريدك.

اقترب الفرعون منها أكثر، جعل نظراته تطوق عينيها، تحتضنها.

تسارعت نبضات قلبها، فحديث قلبها يقول:

=ألم أخبرك؟

وحديث عقلها يقول:

=لالا، لا تصدقي فأين أنت وأين هو !؟

=مازلت كزهرة ندية يا تي، زهرة لم تخلع عنها حيائها، قد تورطت في تفاصيلك يا تي، نزلت بكلتا قدمي في بحر عشقك، لم أعد أرى السبيل إلى شاطيء غير عينيك، باغتني حبك ولم أكن مستعدًا للمقاومة فرفعت رايتي واستسلمت.

= تي... إني أحبك، تخيلت معك حياتي، ضعت فيك إلى حد لم أتوقعه، كان ذلك مستحيلا، ولكنه حدث، تي .. أود أن تكوني حبيبتي وزوجتي وملكتي.

أجمل لحظات الحب هي قبل الاعتراف به، ولكن الفرعون قد غير قوانين العشق، فجعل لحظة اعترافه كغيمة تهطل على قلبها أمطارًا من النشوة، وقفت تي وقلبها يرقص مما سمعته، باح الفرعون بحبه، وشا لها بأسرار قلبه.

فتح باب القفص لطائر الحب فرفرف فوق رأسيهما محدثًا تيارات من شهقات الفرح وتنهيدات العشق.

همت تي بالحديث ولكنها لم تستطع، وشا بريق عينيها بما في قلبها، باحت ابتسامتها المضيئة بحبها دون أن تنطق، حاولت الحديث مجددًا وهذه المرة قد أمسكت بطرف خيط انتظمت به الحروف الهاربة من على شفتيها، فالتقطتها وقالت:

_مولاي.. أنا ... أنا ..

= أنت ماذا يا تي؟ قوليها، انتظرت سماعها منك كثيرًا.

_ أحبك يا مولاي.

حدثت الهزة الأرضية وتصافحت الجبال، أصبح حبهما حقيقة واضحة شاخصة أمام أعينهما، ولكن... بداخل كل منهما أمواج وأمواج من الاضطرابات والتصادمات، فأي حب هذا الذي ينشأ بين فرعون مصر وفتاة من عامة الشعب؟ ألم يعلم الفرعون أنه بذلك يخالف تقاليد دولته وقوانينها ؟ ألم تعلم تي أنها وقعت فريسة حب شبه مستحيل؟ نعم، هو عنفوان الحب ... هي سهام آلهة الحب التي انغرست بقلب الفرعون لتجعله يخالف جميع القوانين ويضرب بالتقاليد عرض الحائط، فالفرعون لا يتزوج إلا من سليلة ملوك ابنة ملك وملكة للحفاظ على نقاء الدم الملكي، إلا أن الحب سلطان تفوق سلطته سلطة الفرعون ذاته، فقد أمر وعلى الفرعون الطاعة .. وقع أمنحوتب في حب تي وسلم لها مفاتيح قلبه.

أما هي....

فقد نشب صراع عنيف بداخلها، وقعت في حيرة عظيمة ما بين قلبها الذي يأمرها بالانصياع لما يمليه عليها من مشاعر وأحاسيس رقيقة لفرعون روحها وساكن قلبها.. وبين عقلها الذي يعلم جيدا قوانين وتقاليد الزواج الملكي والتي –حتما- ستفرق بينها وبين حبيبها الفرعون الذي بات هو كل كيانها والذي يغدق عليها حبًا واهتمامًا لم تعهده من قبل فقد ألقى على مسامعها كلمات من نور تذيب الجبال وتلين الحديد، وعلى قلبها دفءً يقيها برد الوحدة.

ولكن لا ينبغي لجواد تي أن يبحر ولا لسفينة الفرعون أن تمشي على اليبس، كانت حياتها كبحيرة ساكنة إلى أن أتى فرعونها وألقى بداخلها زهرة حب مخلفةً كل دوائر الأسئلة وعلامات الاستفهام، فما كان بيدها سوى تسليم أمرها كله بيد فرعونها، وأيًا ما كان الوضع، فبعد مصارحته لها، قد أصبح لها عليه حق الحب، وله واجب العاشق في إسعاد روحها و العيش داخل محراب عينيها.

*****

ذات صباح ملكي كانا على موعد التقت فيه القلوب قبل العيون وقد وصل الشوق حده الأقصى، كانت تي تظهر عليها علامات السعادة مختلطة بالترقب والقلق، بادرها الفرعون بالقول:

=دعي القلق عنك يا تي فمن اليوم وظيفتي إسعاد قلبك، وأنا أعدك أن تصبحي ملكة على قلبي وعرشي وأن تكوني زوجة لي لنعيش معا لنهاية العمر.

ألقى الفرعون كلماته على مسامعها لتكون بردًا وسلامًا على قلبها.

أجابته وقد ارتسمت ابتسامة طمأنينة على وجهها :

_ أنا ملك لك وقلبي أسير عينيك، فقد حددت إقامتي داخل قلبك وألقيت بمفتاحه.

*****

وفي صباح اليوم التالي، أمر الفرعون بعمل اجتماع عاجل للكهنة،

قد أخذ قراره بالإفصاح عن رغبته في الزواج من تي، هو يعلم أنه سيلاقي رفضًا وربما مواجهةً صريحةً من قبل الكهنة لمخالفته القواعد والقوانين الملكية، وقد كان ما حسب حسابه.

حضر الكهنة جميعا واحتشدوا أمام الفرعون في انتظار معرفة سبب هذا الاستدعاء المفاجيء، كان الفرعون جالسًا على عرشه بثقة تامة، لا يقلقه رفضهم المتوقع، فأيً ما كان رأيهم فقد اتخذ قراره ولا ينقصه إلا التنفيذ. استهل حديثه معهم بما قد يكون نهايةً للحوار، فقال:

- أنا فرعون مصر، كم كنت صارمًا في تنفيذ القوانين، وكم عاقبت على مخالفتها، أنا أحترم مصر وقوانينها ودساتيرها، ولم أكن يومًا متسلطا ظالمًا، اليوم جمعتكم لأخبركم بقراري، ربما يغضب بعضكم، أو يشعر البعض بأني أخترق العادات، لكنها أبدًا لم تكن ذلك، هي فقط رغبة شخصية لفرعون مصر والتي أعدكم أنها لن تؤثر سلبًا على البلاد فهو أمر شخصي بحت، ورغم أني أنا الفرعون و باستطاعتي تغيير أو تعديل القانون، إلا أني رأيت أن أشرككم في قراري فهذا حقكم علي. قررت أنا أمنحوتب الثالث فرعون مصر أن أتزوج من ابنة الكاهن (يويا) تي الجميلة، فقد اختارها قلبي وصدق على اختياره عقلي.

أنهى الفرعون حديثه وأشار بيده سامحًا لمن يريد التعقيب على حديثه، كان الكاهن ومستشار الفرعون(يويا) والد تي ضمن الحضور، وقد فوجيء بحديث الفرعون بهت يويا ووقف صامتًا فاغرًا فاه من هول المفاجأة.

نظر إليه جميع الكهنة متعجبين ورافضين ظانين أنه كان يعلم ولم يخبر أحدا، تحدث كبيرهم قالًا:

_ مولاي الفرعون، أنت نصف إله على أرضنا، وكما بدأت حديثك فأنت أبدًا لم تخالف القوانين يومًا منذ توليك عرش مصر، فما الداعي يا مولاي من مخالفتها الآن! فإذا أردت الزواج، فهناك الكثيرات المناسبات لمكانتكم.

= ولكن تي هي من اختارها قلبي أيها الكاهن، والقلب لا يعرف القوانين.

_ ولكن يا مولاي أنت بذلك تضعف موقف عرشك.

= العرش يضعفه سوء التصرف، حماقة الأفعال، ضعف شخصية الحاكم، لا زواجه ممن يحب أيها الكاهن، أعلم أنكم ستظلون لفترة ممتعضين وغير راضين عن هذا القرار، ولكن _ ورغم أني غير مضطر لذلك_ إلا أني سأثبت صحة نظريتي لكم فيما بعد، والآن... فلتبدأوا في تجهيز اللازم لإتمام الزواج، انتهت الجلسة.

كان الفرعون على قدر ثقتها، غير من أجلها القانون، وفى بوعده لحبيبته وفي سبيل هذا الحب خالف جميع القوانين وتزوج تي ابنة الكاهن وليست سليلة الملوك.

وفي يوم العرس، استعدت مصر لتحتفل بزواج فرعونها المحبوب، زينت الشوارع وتعالت المشاعل، قرعت الدفوف والطبول، تزينت (تي) كما لم تتزين من قبل، تمت طقوس الزواج بالمعبد، وقام الكاهن الأكبر بتوثيق عقد الزواج، أعطى الفرعون لتي باقة من زهور الجنة(زهرة الياسمين) عربونًا لأيام وأعوام رائعة سيقضونها سويًا.

أصبحت (تي) ملكة مصر وحطم حبيبها الفرعون لوح الزجاج الفاصل بينها وبين حياة الملوك.

*****

ظهر نهار جديد مشمس وتنحى ليل مقمر على موعد بلقاء آخر، كانت هي أجمل ليالي عمرهما، استيقظ أمنحوتب وقلبه منتش، نظر لحبيبته التي مازالت مستغرقة في نوم عميق، ظل مستلقيًا على جانبه الأيسر متأملًا ملامح وجهها الفتان، اعتدل أمنحوتب قليلًا فشعرت تي بحركته، فتحت عينيها لتجده ينظر إليها بحب وحنان، نظرت حولها لتجدها مغطاة بغطاء

حريري يكشف أكثر ما يطمس من جسدها، وقد بعثرت ملابسهما على الأرض متناثرةً في أرجاء الغرفة حول فراشهما، سحبت إحدى الأغطية ولفتها على جسدها دون أن تتحدث، هي فقط تنظر إليه بابتسامة بها من الدلال ما يثير جنونه، نزلت بجوار الفراش ووقفت أمامه بعد أن أحاطت جسدها بالغطاء الحريري:

_ صباح جديد من حياتنا يا حبيبي، هيا بنا لنبدأ هذا اليوم، هيا انهض، أتوق إلى الخروج للحديقة اليوم، هيا يا مولاي هيا.

ينظر إليها أمنحوتب وكأنها طفلة تريد أن تذهب لساحة الألعاب، وتعلو وجهه ابتسامة عريضة.

= لا أريد النهوض الآن يا حبيبتي.

_ ولكني جائعة .

= سأطعمك عشقًا.

ابتسمت خجلًا وقالت ممازحة:

_ أود أن آكل طعامًا.

= وأنا أود أن أرتوي من أنفاسك الدافئة.

جذبها أمنحوتب من ذراعها فألقاها بجواره وسقط عنها الغطاء، ارتفع صوت ضحكاتهما، وغرقا في بحر الحب.

*****

ولأن حبهما صادق، مترسخ بقلبيهما، ولأنه لم يكن عابرًا كنسيم يمر بين الزهور؛ فقد ظلت ترانيم العشق التي تشدو لتسكر قلبيهما لم تمت أو تهدأ، بل ازدادت قوة وتوهج العشق أكثر .

أمر الملك بتسجيل زواجهما على الجعارين التذكارية بهذا النص:

(((أمنحوتب، فليعط الحياة، لزوجته الملكة تي ، لتعيش، أبوها بويا ، وأمها تويا ،..... هي زوجة الملك القوي الذي تمتد حدوده الجنوبية إلى كارومي ، والشمالية إلى هارين)))

كان تسجيل أي حدث من أحداث قصة عشقهما على الجعارين أو جدران المعابد يهب تي سعادة غامرة، فلطالما تمنت أن تظل هذه القصة على مر العصور دليلًا على تمسك حبيبها بها.

وكان الكهنة كلما أمر الفرعون بتسجيل شيء يخصهما على جعران أو جدار معبد أو يطلق عليها لقبًا ملكيًا جديدًا يستشيطون غضبًا،

ولكن ما بأيديهم شيء يفعلونه، فقد وضعهم الفرعون العاشق أمام أمر واقع لا يمكنهم تغييره مهما حاولوا.

*****

ولما كان الحب سيد القلوب فقد بات أمنحوتب يعمل على إرضاء مليكته ومحبوبته وتلبية جميع رغباتها ومزج شخصيته بشخصيتها، وكأنه يعوض بذلك عدم انتسابها للدم الملكي بل كان يغرس بها الشخصية الملكية ويرويها من روحه وقوته، ولأنها بطبيعة الحال شخصية قوية جدًا، فكانت تتعلم بسرعة مبهرة لافتة للأنظار.

لم يكتف الفرعون بمخالفة القواعد والقوانين المتعارف عليها لدى الملوك بزواجه من تي فقط، وأنما خالف أيضا القواعد التي حرصت على عدم إظهار الملكة بجانب زوجها في التماثيل والرسوم إلا في مناسبات معينة

فقد أصدر فرمانًا ينص على أن تكون تماثيلها ورسوماتها على قدم المساواة في الحجم مع تماثيله ورسوماته وهذا لإثبات مدى حبه وتقديره لحبيبته، ورفعة مكانتها، رغم ان القوانين كانت تنص على أن تميز صورة الملك بالحجم الأكبر لصورة الملكة أما بالنسبة للملكة (تي)، فقد كانت .....خارج القانون.

*****

انتهى أمنحوتب لتوه من تدبير امور الملك في ذلك اليوم، دلف إلى غرفته وكانت تي تعيد ترتيب الزهور في قنينتها، كان يخلع ملابسه الملكية، خلع تاجه عن رأسه و كشف عن صدره ولم يتبق سوى تنورة قصيرة،

فاستدار إليها قبل أن يفرغ وقال لها:

= باكرًا سنذهب في نزهة يا تي فكوني على استعداد.

_ نزهة؟

إلى أين؟

=غدًا ستعلمين.

_ أخبرني يا مولاي لا أستطيع الانتظار إلى الغد.

ضحك الفرعون ضحكة ممازحة، فلطالما كان يعشق نبرة الطفولة المتعقلة في صوتها:

= لن أخبرك اليوم، غدًا ستعلمين.

_مولاي..ألست حبيبتك!!!

قالتها تي في دلال مشاكسة له وهي تداعب وجهه وصدره العريض بأطراف أصابعها.

= نعم حبيبتي و حياتي ولكن لن أخبرك مهما فعلتي.

نظرت له بغضب طفولي تركته وخرجت لتجلس بشرفة الغرفة المطلة على الحديقة، أكمل الفرعون ارتداء ملابسه وتبعها إلى الشرفة.

جلس بجوارها وجذبها إليه وضع رأسها على صدره وقال:

= حبيبتي المدللة، لا تغضبي يا عمري غدًا سآخذك لتري شيئًا جميلًا،

لننام الليلة وباكرًا ستعلمين.

استسلمت لرغبة حبيبها ولكن ملامحها مازالت منقبضة بغضب والفرعون يضحك على ما تفعل.

*****

نهار جديد ويوم آخر يبعث لهما السلام، استيقظ أمنحوتب ليجد تي مرتدية ثوبها الملكي مستعدة للخروج جالسة تنتظره أن يستيقظ.

استعد الفرعون للخروج، وصلا إلى وجهتهما على الضفة الغربية من نيل الأقصر، وقف الفرعون والملكة أمام قصر جميل فخم مزين بعمدان عليها نقوشًا غاية في الروعة، بلغ فيه الحس الفني درجته القصوى، مزينًا بأجمل الزينات والزخارف، ذا ألوان جميلة بهيجة، له ممرات وردهات وسُقُف خفيفة الوزن، محمولة على عَمَد مزخرفة، متكئة على قواعد من حجر، وله مظلات مصنوعة من ألوان زاهية تحجب أشعة الشمس المحرقة.

كان للقصر جمال تقشعر له الأبدان.

اتسعت حدقتاها من شدة الإعجاب به ممتزجا بذهول وتساؤلات.

_ ما هذا القصر الرائع يا مولاي!!!؟

= إنه قصرك يا تي.

_قصري!!

_ قصري أنا!!؟

= نعم، وهل لي حبيبة غيرك؟

_ لكن لماذا يا مولاي؟

= إنه هدية زواجنا يا حبيبتي، أنت ملكة ولابد أن يكون لك قصر يليق بمكانتك.

_ لم تكن تصدق تي أنها تمتلك مثل هذا القصر الفخم، تقافزت السعادة في عينيها وتقافزت هي فرحةً من على الأرض، هرولت إلى صدره واحتضنته وقالت:

_ أحبك فرعوني الرائع، أحب حبك .

كانت الملكة (تي) تتمتع بقوة تكمن في ضعفها أمام ملكها رغم شخصيتها الطاغية مما ترك أثرًا لدى الملك يتمثل في حب وإعجاب شديدين، جعله يتمنى لو جمع نجمات السماء ووضعها هدية بين يديها.

كان يحاول بكل السبل إرضاءها وإدخال البهجة والسعادة دائما إلى قلبها، يشعر بفرحتها وحزنها، يعلم متى تتراقص الحياة في أوصالها ومتى يختلج صدرها بالألم، كان يعلم متى تتقافز ضربات قلبها من السعادة ومتى تنتاب ملامحها مسحة حزن.

*****

كان الفرعون أمنحوتب الثالث من أعظم ملكوك عصره، كانت مصر في عهده أكبر إمبراطورية في الشرق وصاحبة السيادة السياسية والأدبية، غير أنه لم يكن يركن إلى كثرة الحروب فكانت ميوله سلمية وكان السلام – بوجه عام– مخيِّمًا على ربوع دولته المترامية الأطراف في آسيا واعماق افريقيا.

إلا إذا إضطر إلى ذلك فكان يقوم به على أكمل وجه، ففي العام الخامس لتوليه العرش، قامت ثورة في بلدة «أبهت» الواقعة بعد الشلال الثاني، فكلَّف الفرعون نائبه في أقطار الجنوب وابن الملك المسمى «مرمس» بجَمْع جيش من النوبيين من بلاد النوبة السفلى والزحف به لقمع الثورة بمساعدة الجيش المصري الذي كان بقيادة الفرعون نفسه، وكان قد أقلع في فصل الفيضان، وهو الوقت الذي كان يحتفل فيه بعيد تتويج الفرعون.

أحرز الفرعون النصر على هؤلاء العصاة. أوغل في بعض الوديان الواقعة على ضفتي النهر، وكانت مأوًى لقبائل الصحراء الذين اعتادوا الانقضاض على الأماكن المعمورة من وقت لآخر لسلْبِها ونهْبِها،

ورغم أن الملكة تي كانت بمثابة محاربة على أرض السلم، إلا أن القلب كان به جزء كبير يسكنه الخوف والهلع على حبيبها أمنحوتب، فكانت طوال فترة غيابه يجافي النوم عينيها، وتنتظر بفارغ الصبر عودته إلى أحضانها، كم كانت تشعر بالفخر حينما يتحول هذا المحارب العظيم والفرعون الأشهر

على وجه الأرض إلى طفل صغير في أحضانها وكأنها هي من ولدته وربته.

حين وصلت أخبار انتصار الفرعون إلى الملكة تي وتأكد لها أنه بخير وسيعود إليها سالمًا منتصرًا، لم تستطع أن تحبس دموع الفرحة بانتصاره وقرب عودته بل تركت لها العنان لتغسل ساعات القلق وأيام الرهبة،

دلفت كبيرة الوصيفات إلى غرفة الملكة يعلو وجهها ابتسامة ونبرات صوتها تكاد تتراقص فرحًا:

= مولاتي ، لاح موكب مولاي الفرعون المنتصر على مدى البصر، قد وصل الفرعون يا مولاتي. وصل المنتصرون.

انتفضت الملكة وقامت من جلستها، هرولت إلى الخارج ولم ترهم فالموكب ما زال على بعد مسافة من القصر، اتجهت ثانيةً إلى غرفتها لتقف أمام مرآتها تهذب من مظهرها استعدادًا للقاء الحبيب العائد حاملًا لها النصر، يا لطبيعة الأنثى فمهما كان قدر قوتها، إلا أنها تظل بداخلها الرغبة في التجمل وأن تظهر أمام الحبيب في كامل أناقتها.

خرجت ثانيةً إلى شرفة القصر الرئيسية، فإذا بالغبار الناتج عن وقع أقدام الخيول والعجلات الحربية يلوح في سماء مصر، دخلت لمرة أخيرة إلى غرفتها لتقابل مرآتها وتضع اللمسات الأخيرة لجمال طلتها وتعيد رسم عينيها وإحكام شرطتهما، تعالت أصوات الجموع بالخارج واقفين في

استقبال فرعونهم المنتصر يهتفون باسمه ويقرعون الطبول احتفالًا بالنصر.

وصل الفرعون بعجلته الحربية رافعا يديه يلوح لأبناء شعبه الفرحين بعودته، إلا أن عينيه كانتا على شرفة قصره، أو بالأصح على حبيبته يقرأ في عينيها الفخر بانتصاره والسعادة بعودته وترانيم عشقه .

ترجل من عجلته الحربية ودخل القصر قاصدا حبيبته لا يرى سواها.

ما أن رأته ملكته حتى ارتمت بين أحضانه جامعةً كل المشاعر في آن،

فكم اشتاقت إليه لياليها !، كم فخورة هي بنصر حبيبها! وكم كان القلق يقتلها طوال فترة غيابه !

عاد الحبيب إلى وطنه داخل أحضان حبيبته، عاد ليسقي ورود روحها لتزدهر، أينعت ثمارها واخضر عودها.

= كم اشتقت إليك يا حبيبتي!

_نسى عنواني النوم وسكن الأرق تحت جفوني منذ رحيلك يا مولاي، كاد القلق يعصف بي، كدت أفقد عقلي خوفًا عليك، وكاد قلبي ينشطر من اشتياقي إليك.

ضمها إلى صدره أكثر وقبل جبينها قبلة حانية.

=لا تقلقي يا حبيبتي فلن أتركك أبدًا، ألا تعلمين كم هو قادر حبيبك على العصف بأعدائه؟

_ أعلم ولكني لم أستطع طرد هواجسي المخيفة، كنت أود لو آتي إليك في غمار المعركة لأطمئن وأراك بعيني، وأتلقى عنك في صدري أي خطر قد يدنو منك.

= كم أعشقك يا تي، كم أتمنى ألا تغيبي عن ناظري ولو للحظة، ولكنه قدري يا حبيبتي فأنا فرعون مصر وهذا ما علي فعله.

_ وأنا أعشقك يا عمري وسأكون عونًا لك على تحقيق النصر دائمًا ولكن عدني بأن تعود لي سالمًا دومًا.

= أعدك يا حبيبة العمر، أعدك.

*****

مرت عشرة أعوام منذ بداية حكم أمنحوتب وثمانية على زواجهما، كانت السعادة لا تبرح قصرهما، وكانت هي خير عون له على حكم مصر، جاء وقت وكان لابد فيه أن يتزوج الفرعون زواجًا ثانيًا _زواجًا سياسيًا لتوطيد العلاقات بين الدول_ كان طبيعيًا أن يتزوج الفرعون، ولكنه لم يستطع أن يقوم بتلك الخطوة دون أن يمهد ل تي، كي لا يصيبها حزن أو غيرة عليه، فهو كان يعلم جيدًا مدى تعلقها به وحبها له.

أخبرها أمنحوتب بضرورة زواجه وانه سيكون زواجا سياسيًا من الدرجة الأولى خاليا من أية مشاعر أو رغبة، ولأن تي كانت ملكة تتحمل لمسئولية وذات عقل راجح إلى حد كبير فرغم غيرتها القاتلة عليه إلا أنها لم تعارضه ولم يكن بيدها حتى أن تعارض، باركت تي الزواج ولم تشعره بحزنها مطلقًا، رغم لياليها الطويلة التي كان يبرح فيها فراشها، كانت تقتلها الوحدة وتعذبها الغيرة، كان يحاول جاهدًا أن يكون مراعيًا لمشاعرها قدر ما استطاع .

وقبل أن يتم زواجه، أهداها قاربًا ذهبيًا يخطف الأبصار ويسر الناظرين، كان يأمل أن يكون سببًا في سعادتها وأن يمسح عنها أي حزن، أطلق على القارب اسم «تحن آتون» أي (قرص الشمس يسطع)

*****

كان زواجه الثاني من أميرة متانية، هي ابنة ملك دولة ميتاني، وليحفظ ل تي مكانتها ويثبت لها مدى حبه لها رغم زواجه، فقد أمر بذكر اسمها في إعلان زواجه، حيث يقول الإعلان:-

(انه في العام العاشر من حكم الملك أمنحوتوب ، وزوجة الملك العظمى تي ، فقد حدث أن وفدت إلى جلالته (جيلوخيبا) ابنة أمير ميتاني (شونارنا) وسيدات حريمها وعددهن 317 وصيفة)

ولمدى تعمق حبها بقلبه فقد حافظ على ذكر اسمها كاملًا في إعلان زواجه السياسي من الأميرة الأجنبية وعلى الرغم من مرور ثمانية أعوام على زواجه بالملكة (تي) إلا أن حبها مازال مشتعلًا في قلبه ولم يقو على جرحها أو غرس حزن في قلبها حتى وإن كان زواجًا سياسيا لا علاقة له بالمشاعر، وأراد أن يذكر اسمها تأكيدًا على علو شأنها وتفوق مركزها على من تأتي من بعدها حتى وإن كانت سليلة ملوك .

*****

مر عام كامل على زواج أمنحوتب الثاني، كان يحاول ألا يجعلها تشعر بغيرة عليه، كان دائم الحفاظ على مشاعرها، وذات ليلة مقمرة كان فيها القمر يأنس جمعهما ويغمرهما بأشعته الفضية فتتلألأ على وجههما ضياؤه، كانا يجلسان سويا سافرت الملكة بخيالاتها وإذا بها تنطق بأمانيها:

_ أتعلم يا أمنحوتب !! لكم تمنيت أن تكون هنا بحيرة قريبة من القصر تتغذى بمياه الفيضان لنتنزه فيها بالقارب الذهبي الذي أهديتني إياه .

سمع الملك أمنحوتب أمنية حبيبته ونظر لها بعينين لامعتين وكأنه ينظر إلى طفلته المدللة وصمت، ولم يجبها، بل دار بخلده كيف يحقق لها أمنيتها،

تخيلها في قاربها الذهبي تجوب مياه بحيرة أحلامها، وكم ستكون سعيدة لو حدث ذلك.

استسلمت الملكة للنعاس على صدره كطفلة غلبها النوم في أحضان أبيها، تحرك ببطء شديد كي لا يزعجها وحملها بين ذراعيه وضعها برفق في فراشها دون أن يوقظها، فلطالما كان يعشق براءتها وطفولتها المحببة إليه وشعوره بأنها ابنته.

*****

في صبيحة اليوم التالي، بزغت شمس النهار وغردت الطيور لتستيقظ الملكة على الكثير من الضوضاء و حركة غريبة لا تعلم سببها، استدعت الملكة تي، كبيرة وصيفاتها وسألتها:

_ ماذا يحدث؟ ما كل هذه الضجة في بداية اليوم؟

=أمر مولاي الفرعون بحفر بحيرة هنا يا مولاتي وقد بدأ العمل في حفرها بالفعل.

ابتسمت تي واتسعت عيناها فرحة، وسألتها:

_ بحيرة؟

هنا؟ أمام القصر أليس كذلك؟

= نعم يا مولاتي أمام القصر بحيرة ستتغذى من ماء الفيضان.

أمنحوتب .. يا لرقة قلبك وروعة إحساسك، لو استطعت لأعطيتك عمري كاملًا دون تفكير يا نجم ظلامي اللامع. (قالت تي هامسةً)

كانت اوامر الفرعون بحفر بحيرة كبيرة قريبة من القصر في فترة وجيزة في المنطقة المنخفضة من بركة منطقة هابو اجتمع على حفرها آلاف العمال، وفي ستة عشر يومًا فقط من العمل المتواصل تدفقت المياه إلى البحيرة .

لم يكتف أمنحوتب بما فعل، بل زاد الأمر رومانسية وذهب إليها، ألقى على قلبها سلاما، وعلى عينيها نظرة عشق، وعلى شفتيها قبلة اشتياق.

أظهر لها عمق حبه وقال لها :

=أتسمحين لي بمرافقتك إلى بحيرتك يا مولاتي؟

_ أسمح أن أكون معك حتى لو إلى نهاية العالم.

لم تسعها الفرحة وازدادت فوق العشق عشقا، قاما بعمل جولة فيها بالقارب الملكي الذهبي، كانت تلك هي أقصى لحظات العشق والسعادة بحياة تي.

أمر أمنحوتب بعد ذلك بتعميق البحيرة وزراعة الأشجار من حولها لتصبح أشبه بقطعة من الجنة بين يدي محبوبته، كما أمر بإقامة احتفالًا عظيمًا

تخليدًا لإنجاز هذه البحيرة ووثقه على الجعارين ليكون إثباتًا على حبه لتي.

كان كل ما يفعله أمنحوتب يزيد من توهج العشق بقلب تي تجاهه فهو حبيبها وملك قلبها ومحقق أحلامها.

فبالغت تي في إغداق الكثير من الحب والحنان عليه، وكانت أيضًا ذات عقلية راجحة تساعده في الكثير من أمور الحكم وكان أمنحوتب يثق في آرائها فلطالما كانت صائبة، وكان تآزرهما سببًا في أن يصبح أعظم ملوك عصره .كان يطلق عليها الكثير من الألقاب الملكية والتي كانت حكرا على الملكات ذوات الدم الملكي مثل....

(إبنة الملك)، (أخت الملك)، (سيدة الأرضين) وهي في الحقيقة تتنافى مع حقيقة (تي).

إلا أنه أراد تكريمها ومنحها إياها غير مبال بالعرف المصري ولا التعاليم الملكية، للمرة الثالثة، أو ربما ليجعل الأمر طبيعيًا ويغير الواقع ويثبت أنها تستحق أن تكون ملكة.

تكررت زيجات الملك أمنحوتب الثالث و كانت كلها زيجات سياسية،

إلا أن تي دائما ظلت حبيبته الأولى والأخيرة، ظلت هي الزوجة الرئيسية المفضلة، كان دائمًا ما يعود إلى أحضانها بعد المشقة أو رحلات الصيد، كانت هي الجانب الذي يميل إليه عندما يعصف به التفكير، وهي

الحنونة القوية العاقلة المحبة.

عاشت الملكة في جو صاخب ممتلئ بالمشاغل وتدبير شئون الدولة، تمتعت طوال حياتها بمكانة رفيعة وشأن كبير، تعلمت أمور الحكم على خير وجه.

عندما داهم الفرعون المرض بعدما مر من العمر أكثر مما تبقى، كان لها دور كبير ليس في القصر وحسب بل أيضا في توجيه سياسة الإمبراطورية كلها، فقد كانت لها كلمة مسموعة ورأي لا يقبل المناقشة، كانت تسير على خطى أمنحوتب وتبلغه بكل ما تم فعله أو سيتم، ورغم مشاغلها التي تزايدت عليها وتثاقل أعبائها، إلا أنها أبدًا لم تترك حبيبها .

كانت تعطيه من حبها ما يجعله قادرا على مواجهة مرضه، كانت مسكنًا لأوجاعه وآلامه، كانت له الأم التي تسهر وترعى، والحبيبة التي تهدهد وتحتضن، والأخت التي تخشى على أخيها من نسمات الهواء، كانت له حياةً كاملة دون نقصان.

*****

كانت قد رزقت الملكة تي من زوجها بالعديد من البنات وولدين، مات أحدهما في عهد أبيه وكان ما يزال الفرعون يحكم، وكان هذا هو الألم الوحيد الذي لم يستطع أمنحوتب تخفيفه أو منعه عن حبيبته.

أما الثاني .... فهو (أمنحوتب الرابع) (إخناتون) وهو أول من نادى بالتوحيد في مصر القديمة، فدعى إلى عبادة ربه (آتون) ربًا واحدًا لا شريك له .

ناصرت الملكة تي ابنها (أمنحوتب الرابع) في دعوته إلى هذه العقيدة وكانت مقتنعة بها تمامًا فحاولت ضم حبيبها و زوجها إلى ركاب هذا التيار خوفًا عليه أن يتجه اتجاهًا دينيًا غير صحيح فينال من العقاب في الحياة الأخرى، فيا لشدة العشق الكامنة بقلبها له، ولكنه ركن إلى الترف مخفيًا في داخل نفسه مؤازرته للعقيدة الجديدة ومؤثرا إظهار مظهر المحايد.

ولكنها لم تستسلم، واصلت محاولاتها لدفعه للاعتراف والجهر بالوحدانية وبالفعل أتت محاولاتها بالنجاح ووجهت حبيبها إلى الصواب خوفًا عليه. ثم تأتي الرياح بما لا تشتهيه سفينة الحب، فاشتد المرض على الفرعون وظل فترة طريح الفراش ظلت تي الزوجة المحبة الوفية بجواره لترعاه، وفي ذلك اليوم كانت تمسك بيديها دواءه لتعطيه إياه، اقتربت منه بلطف وهدوء، وقالت:

_ مولاي.. إنه موعد دوائك هلا اعتدلت لتناوله!

= تي.. قبل أن آخذ دوائي، ولأني أعلم أن النتيجة واحدة سواء أخذته أم لم آخذه، أريد أن أتحدث إليك.

- أنا معك يا حبيبي وأسمعك ماذا تريد أن تقول؟

=قد ادخرت كل ما تعلمته في حياتي وكل خبرات اكتسبتها فيك أنت يا تي، وأنا أعلم وأثق بأني اخترت الشخص الأصلح ليكون صورة لي، قد علمتك كيف تديرين بلدا كمصر، كيف تتخذين قرارات لا يقوى أحد على الاعتراض عليها، لمست فيك القوة والعقلية الراجحة، وأعلم أنك على قدر تلك المسئولية، الآن يعدو جواد عمري إلى النهاية، لم يعد يبقى إلى أقل القليل، كوني على قدر ثقتي في حسن تدبيرك يا تي، انهضي بمصر قدر استطاعتك .

_ ولكن سيتولى أمنحوتب الرابع الحكم فلا تقلق يا مولاي.

= أمنحوتب الرابع أضعف من أن يتولى أمر مصر بمفرده، أنت تعلمين ذلك، لا تتركيه بمفرده، لا تسلميه زمام الأمور دون مساندة، اليوم هو اختبارك الحقيقي يا تي، فلتدخلي الآن إلى التاريخ ورأسك إلى الأمام كالرمح.

قالها الفرعون وأغمض عينيه دون أن يتناول دواءه، راح في سبات عميق، خرجت روحه من جسده لتبدأ رحلتها في العالم الآخر، صعدت إلى السماء وتركت حبيبته على الأرض في دنيا المتاعب، تعيش بلا قلب تهيم بلا هدف ، فقد غادرت حياتها الفرحة، مات محقق أحلامها، وسبب سعادتها،

مات الفرعون لتقف وحيدة دون حبيب، لم تكن تصدق أنه سيمضي، وكأن شروقه غاب عن جبينها.

حزنت الملكة كما لم يحزن أحد على وجه الأرض على فراق رفيق الدرب، وكيف لا تحزن وقد سخر حياته لإرضائها وجعلها أسعد نساء مصر، بل العالم، قد كان هو الأرض الصلبة التي تقف عليها قدميها وسط رقائق هشة لا تقوى على حملها، فعلى قدر الحب يكون ألم الفراق، وكان الحب حقًا عظيمًا.

قاومت الدموع، زجرتها، بكت روحها بحرقة دون أن تدمع، وكأن ملوحة البحار كلها داخل حلقها، ولكنها لم تكن تملك رفاهية الانهيار، غير مسموح لها أن تستسلم وتنجرف في تيار الحزن والضياع، كان عليها أن تستند إلى ما غرسه بها الفرعون من طباع الملوك وتتخذ من ابنها الفرعون الصغير (أمنحوتب الرابع) عمودًا فقريًا لتنتصب، وتقوم برد جميل ما قد حصلت عليه طوال حياة حبيبها من رعاية وحب واهتمام ؟؟

وقفت الملكة (تي) ثانيةً على قدميها واستعادت صلابتها، وقد تولى العرش ابنها (أمنحوتب الرابع) وكان عمره اثنتي عشرة عاما، وهنا يتجسد الحب في أروع صوره، فتثبت الملكة (تي) لحبيبها و قاطن قلبها وفرعونها أن اختياره لها كان الاختيار الأمثل حين اصطفاها لتكون إلى جواره على عرش

مصر، فتتولى الملكة (تي) أمور الحكم لكونها وصية على الفرعون الصغير (أمنحوتب الرابع) لصغر سنه وكانت هذه الفترة من فترات الرخاء على مصر، استمرت بعد استلام (أمنحوتب الرابع) الحكم وعرش مصر في مساندته وكانت له مرجعًا في كل مالا يعلمه ودائما ما يرجع لها للمشورة.

كانت مستشاره في شئون الدولة الداخلية والخارجية كما كانت في عهد زوجها.

وهكذا أثبتت لنا الملكة (تي) بأن النجاح في الحكم لم يكن يستلزم نقاء الدم الملكي، وأثبتت أيضا أن الحب قادر على صناعة المعجزات .

عاشت(تي) حياة حافلة بالأحداث صعودًا وهبوطًا، حبًا وعشقًا، فراقًا وحكمًا، إلا أنها كانت قادرة على الصمود أمام كل تلك الأحداث حتى جاء يوم اللقاء... وقد انتظرته كثيرًا لتزف روحها إلى روح حبيبها في أواخر عهد ابنها الملك (إخناتون) ودفنت في مقبرتها التي أعدت لها خصيصا في طيبة، ولكنها تركت لنا درسا في الحب ..

درساً في ... قوة الحب

٢

(إخناتون ونفرتيتي)

(مستقبل مصر في خطر، أنت تعلم ذلك يا مولاي ولابد من اتخاذ قرارك)..

قالت الملكة (تي) بحزن للفرعون (أمنحوتب الثالث)، كانت تنتظر إفاقته بفارغ الصبر من نوبات غياب طويلة تنتابه بسبب مرضه الشديد، جاهد الفرعون في أن يفتح عينيه، فهو لم يعد يحتمل الضوء.

سمع ما قالته ونزل على قلبه بمزيد من الألم، لعق شفتيه ليستطيع أن يتحدث، ثم قال بصوت واهن متقطع يملأه الأسى :

= كان تحتمس ليصبح فرعونًا عظيمًا .

جثت الملكة على ركبتيها أمامه وقالت بصوت خفيض يغلب عليه المواساة:

_ هذا الابن يجوب العالم الأخر الأن يا مولاي .

أومأ أمنحوتب الثالث وهو حزين، فابنهما الأكبر المحبب إليه والأثير عنده قد مات، وهو يعلم أنه سيلحق به قريبًا ويعلم أن مصر بحاجة إلى فرعون قوي يملك زمام أمورها.

حوّل الفرعون نظره عن تي ونظر لسقف غرفته المزين بزخارف ورسومات ملكية، ثم قال :

= أعلم أن امنحوتب الرابع لا يملك من القوة البدنية ما يعينه على استعمال السيف، فقوته الوحيدة في رأسه، ولابد للفرعون أن يكون إلهًا بشريا وهذا الصبي ليس أهلًا لذلك.

نهضت تي لتقف أمامه منتصبة كي يستفيق الفرعون ويستشعر خطورة الموقف،وقالت:

_ مولاي الفرعون لابد من الانتهاء من هذا الأمر على الفور، الأمر في غاية الأهمية.

= أعلم أنهم شارفوا على الانتهاء من زخرفة غرفة دفني .. همهم الفرعون، ونظر لها وأكمل قائلًا:

=قد ادخرت كل ما تعلمته في حياتي وكل خبرات اكتسبتها فيكي أنت يا تي، وأنا أعلم وأثق بأني اخترت الشخص الأصلح ليكون صورة لي، قد علمتك كيف تديرين بلد كمصر، كيف تتخذين قرارات لا يقوى أحدًا على الإعتراض عليها، لمست فيكي القوة والعقلية الراجحة، وأعلم أنك على قدر تلك المسئولية،

الآن يهرول جواد عمري إلى النهاية، ولا راد له، لم يعد يبقى إلى أقل القليل، كوني على قدر ثقتي في حسن تدبيرك يا تي، انهضي بمصر قدر استطاعتك، ظلي دائمًا بجوار أمنحوتب لا تبرحي مكانك في الحكم، كوني له مستشارًا كما كنتي لي.

أجابته تي والدموع تنساب على وجنتيها:

_ لا تقلق يا مولاي وحبيبي فلن أكون سوى ما تتمنى أن أكون.

= والآن... إئتوني الآن بأمنحوتب.

*****

في زورق صغير من سيقان البردي وعلى صفحة مياه بحيرة القصر، جلس العاشقان أمنحوتب الرابع (إخناتون) ومحبوبته نفرتيتي، كان يتأمل جمالها الأنيق، و عيناه تعانقان كل مواطن جمالها، ينظر بعشق لرأسها الذي يرتفع فوق عنقها النحيل كزهرة اللوتس، فيرى عينيها الواسعتين تشعان بالسعادة وأنفها المستقيم، ومن أسفله شفتان مكتنزتان تطوقان فمًا رقيقًا وذقن بديع الرسم.

أشاحت نفرتيتي عنه بوجهها قليلًا في صمت ودلال أخاذ، ثم عادت لتنظر إليه وتقول بصوتها الخفيض العذب وابتسامتها الدافئة الهادئة التي

تنبض بها شفتاها الرقيقتان:

_لماذا يمر الوقت بهذه السرعة عند اللقاء ؟

=أيتأمر علينا هو الأخر؟ سأل أمنحوتب بابتسامة ماكرة .

اختفت ابتسامتها لوهلة وقالت :

_ولكن إذا كان زواجك من (سات أمون) هو السبيل الوحيد لتوليك العرش ولتصبح فرعونًا على مصر، فافعل ذلك يا أمنحوتب.

=لن تكون هناك ملكة على عرش قلبي ولا على عرش مصر سوى جميلة الجميلات محبوبتي نفرتيتي، سأحارب العالم لأحظى بك ولتكوني زوجتي طوال حياتي.

_ولكنك تعلم التقاليد وتعلم أنها تحتم عليك الزواج من الوريثة الملكية.

نظرت نفرتيتي بحزن لأسفل وقالت :

_ وأنا لست من دم ملكي.

أمسك بيديها ونظر مباشرة لعينيها وقال لها :

=لا عليك يا حبيبتي، سأتحدث مع الملكة في هذا الأمر وليكن ما نريد، لا عليك، سأحاول قدر استطاعتي ولن أستسلم.

*****

كان أمنحوتب دائم التأمل، يعشق اعتزال البشر إلا نفرتيتي، وكان موعدهما اليومي المتفق عليه وقت الظهيرة في الفضاء الواسع البعيد عن الناس، لم يكن يشعر بالأمان سوى في حضور الشمس وقت الظهيرة لتكون في أوج توهجها وفي حضرة نفرتيتي، ورغم كثرة صمته وتأمله في قوة الشمس وقدرتها على اشباع الكون بأشعتها، إلا أنه لم يكن يذهب إلى خلوته بدون رفيقة التأمل وحبيبة القلب نفرتيتي، ورغم السكوت المخيم غالبًا على اللقاء، كانت الأرواح تتبادل حديث العشق و تصف مكنونات النفس.

وعندما تحزم الشمس أشعتها تمهيدًا للرحيل، كان أمنحوتب يبدأ في سرد كل ما جال بخاطره إلى نفرتيتي، كانت هي الساكن الأوحد في الروح والوجدان، تملأ قلبه وسمعه وبصره، تهفو إليها روحه لتحط فوق قلبها بعد رحلة طويلة من التأمل.

وعلى قدر ما كان يدق قلبه بإسمها، كانت تتراقص مشاعرها كلما تلاقيا، كان هو بالنسبة لها من يروي ظمأ روحها المتعطشة لرواء الحبيب،

لم تكن تضيء ظلمتها إلا عيناه، كانت تمر نسمات الهواء محملة بعبيره ومزدانة بخفقات قلبه لتلاطف وجهها فاتن الجمال، يداهمها عبقه، شهيقه، زفيره، طنينه العذب الذي يلفها بجدائل عشق.

لا يعرف أمنحوتب حياة أخرى غير تلك التي تعمرها نفرتيتي، وهل هناك حياة غيرها!!

بات يفكر طويلًا كيف سيفاتح الملكة تي في زواجه من نفرتيتي، حتى قرر في ذلك اليوم أنه لا مفر من اتخاذ تلك الخطوة.

*****

وصل أمنحوتب الرابع إلى القصر وذهب إلى حجرة الملكة تي الخاصة. وقف أمامها صامتًا وهي تنظر إليه، وكان قد عرف عن الملكة تي الذكاء والدهاء وقراءة ما بالعيون، رفعت وجهها قليلًا ونظرت في عينيه مباشرةً وقالت :

_ تكلم.

= أعلم يا أمي أنه يتوجب علي أن أتزوج من أختي والوريثة الشرعية للملك (سات أمون).. ولكني ....

قاطعته قائلةً :

_ولكنك واقع في حب نفرتيتي، رغم أن الدم الملكي لا يجري في عروقها ورغم رفض أبيك لزواجك منها.

طأطأ رأسه صامتًا فأتبعت..

_أنت بذلك تطيح بالعرش يا أمنحوتب، بإصرارك هذا تقدم حكم مصر على طبق من ذهب لمن لا يستحق.

= ولكن يا أمي، أنت أيضًا لم تكوني من العائلة الملكية ولم يكن يجري في عروقك الدم الملكي، وكاد أبي أن يطيح بعرش مصر أيضًا كي يتزوجك، ولكنه فعلها، تزوجك يا أمي لأنه أحبك، وكنت له العون والسند، فما فائدة نقاء الدم الملكي إن لم يكن هناك حب ؟؟

ألا تريدين أن ترين إبنك سعيدًا مع محبوبته التي اختارها قلبه؟؟

صمتت الملكة تي وقامت من جلستها، اتجهت إلى نافذة تطل على بحيرة القصر، وظل الصمت يخيم لبرهة عليهما، ويقف أمنحوتب في ترقب شديد لما ستقول.

قطعت الملكة تي هذا الصمت قائلةً:

_ اعطني بعض الوقت لأتدبر الأمر يا أمنحوتب.

*****

مرت الأيام تتلوها أيام، ولم تخبره الملكة بأي جديد يخص ما حدثها به، كان كلما طال تأخرها زاد اضطرابه واضطراب نفرتيتي أيضًا، فحياتهما الآن متوقفة على كلمة من الملكة.

وعلى غير عادته بدأ أمنحوتب يتغيب عن الموعد المعتاد، ورغم ذلك فقد كانت نفرتيتي تواظب على الحضور في الموعد كل يوم عل قلبه يسوقه إلى رؤياها، عل اشتياقه لها يجبره على المجيء، كانت لا تدرى ما سبب غيابه، أتكون الملكة قد أقرت بالرفض! أم أن سوء قد أصاب حبيبها؟

وبعد مرور سبعة أيام على غيابه لم يعد يحتمل البعد أكثر من ذلك، حضر أمنحوتب وتجدد لقائهما، تراقصت مقلتاها فراحًا لرؤياه، وتجمعت العبرات في عينيها عتابًا على طول بعده.

كان كل منهما يحمل على ظهر قلبه من القلق ما يثقله ويرهق خفقاته.

حال القلق والتوتر دون الاستمتاع بتأمله المعتاد، لم يجد أمنحوتب ما يقوله لنفرتيتي فهو لا يعلم ماذا سيحدث، ولكن تأخير قرار الملكة لا ينم إلا عن شيء محزن، بادرته نفرتيتي بالحديث لترفع عن كاهله ثقل التفكير فيما يقوله لها، فقالت:

_دع عنك الحيرة يا أمنحوتب، فأنا أعلم مدى صعوبة الأمر، لا عليك، حتى وإن كان سبب غيابك هو رفض الملكة تي لزواجنا، فسيظل

حبك نبضات قلبي وربيع عمري.

= هي لم ترفض بعد يا نفرتيتي ولكن صمتها يقتلني فما عدت أعلم ما تفكر فيه ولا أقوى حتى على أن أسألها.

_ إذن فمازال الأمل موجود يا حبيبي لا تيأس، وحتى إن رفضت وكتب علينا الفراق، لن أبرح مكاني بجوار قلبك، ولن أترك قلبك وحيدًا، سيبقى حبك دائمًا أنيس وحدتي، وسيظل مشكاةً تضيء لي طريقي، وسأظل آتي إلى هنا علنا نلتقي يومًا صدفة.

= لا.. لن نفترق، لن أسمح بذلك، فكيف تكون حياتي بدونك؟ كيف أعيش نصف إنسان وأنت المكملة لي؟ إذن فلننتظر قرار الملكة، نحن انتظرنا الكثير فلنكمل ونتحلى بالصبر.

*****

وصل أمنحوتب إلى القصر بعدما ودع حبيبته وداعًا لا يعلم هل هو وداع أبدي أم أنه وداع على أمل لقاء آخر، فبادره أحد الخدم وأخبره بأن الملكة تنتظره في غرفتها، ذهب إليها وخفقات قلبه تسبقه، وبمجرد دخوله وقبل أن ينطق، بادرته بالقول:

=أبلغ نفرتيتي بأنها ستكون ملكة مصر عن قريب وأن عليها الحضور.

*****

حضرت الخادمات ليقمن بغسل جسدها بالماء المعطر ويدلكنها ويعطرن جلدها الناعم اللامع بعطور الزيتون المعتقة والمعدة في أوان مرمرية رفيعة القيمة ، وأخذن يسوين حاجبيها المقوسين بالملاقيط الدقيقة ثم يجملن عينيها بالكحل ذي الصبغة السوداء بشرطة عند الركن الخارجي لكل عين، ويضعن الصبغة الحمراء لوجنتيها وشفتيها .

الأن تلبس نفرتيتي مجوهراتها الملكية من قلائد وخواتم وأساور وأقراط والتي قد أهدتها إليها الملكة تي، يالجمال نفرتيتي الفتان ! هي _حقًا_ أسطورة هي إيزيس الأم العظمى بنفسها، جاءت إلى الأرض متجسدة في تلك الفتاة. كانت تلقى عند قدميها الصغيرتين أكاليل الزهور وتسكب العطور النادرة على رأسها، فاليوم.. عرسها على من سلب قلبها ونصب نفسه فرعونًا عليه.

فاليوم يوم مشهود ويكاد يكون الأعظم في حياتها بأكملها، ذلك اليوم الذي ما كان ليتحقق إلا أن عاجل القدر الأميرة (سات أمون) ذات الدم الملكي فلحقت بالفرعون المسافر إلى الغرب للأبد أمنحوتب الثالث الذي سبق ابنته إلى العالم الأخر مفسحين المجال ليجتمع القلبان في يومها المشهود هذا، ليصبح الأن لا عوائق أمام زواج أمنحوتب الرابع ومحبوبته ورفيقة عمره نفرتيتي.

*****

أقيمت مراسم العرس الملكي، أضيئت المصابيح وزينت مصر للاحتفال بزواج فرعونها أمنحوتب الرابع .

وجاء موعد ظهورهما أمام الشعب من شرفة القصر الخاصة بالظهور لأبناء الشعب ليبارك الأتباع المخلصين الواقفين تحت تلك الشرفة هذا الزواج الميمون .

أخذ أمنحوتب يلقي بالزهور والعقود الذهبية على شعبه في سعادة غامرة، فكم انتظر هذا اليوم!، لقد كان حبهما لبعضهما البعض حبًا عظيمًا مثل ضوء الشمس في الظهيرة، فما الذي يدعو إلى إخفائه خلف قناع صناعي زائف من التقاليد الملكية؟

_الحب سلطان وهو كل التقاليد _ الحب ديكتاتورًا لا يعترف بقوانين سوى ما ينص عليه القلب، وقد اتبع أمنحوتب قوانين قلبه، وقرر أن يكمل باقي عمره مع محبوبته.

زلزلت صيحات الجماهير الصاخبة جدران القصر الملكي وهم يهتفون فرحًا باسم الفرعون ونفرتيتي، فلطالما كانت نفرتيتي محبوبة لدى الجميع.

فكانت امرأة متألقة ممشوقة القوام ذات رأس ذو شعر قصير توج بذكاء ودهاء وجاذبية عجز عن وصفها القلم، ولا عجب هنا أن يعني

إسمها (المرأة الجميلة قد أتت) وكانت أيضًا تشتهر برباطة جأشها وخطاها الواثقة.

أما عن أمنحوتب ..فلم يكن الرجل الذي تتمناه أي فتاة، كان له من التكوين الجسماني ما يوصف بالقبح، ولم يحظ بالقوة البدنية التي يجب أن تتوفر في فرعون مصر، كان غريب الأطوار طوال حياته، ولكن مع كل ذلك كانت تتفهم طبعاه كانت تحبه بطريقتها هي، كانت ترى فيه مالم يره الكثيرون حتى والده نفسه، تعشق حبه لها وحنانه عليها وكانت على ثقة كبيرة أنه سيكون فرعونًا ذا شأن عظيم

*****

اخترقت أشعة الشمس الدافئة نافذة الغرفة الملكية لتداعب وجنتيها الناعمتين، وتخبر عينيها العميقتين .. أن نهارًا جديدًا قد ولد من رحم الليل، ولتبارك هي أيضًا على زواج العاشقين .

استيقظت نفرتيتي لتجد رأسها على صدر أمنحوتب وهو يضم جسدها النحيف الرقيق إليه، نحت ذراعه جانبًا ونظرت بحنان إليه وداعبت وجنتيه بأطراف أصابعها ليفيق من نومه، ثم قالت له بصوتها الدافيء الحنون الذي انسابت نغماته على مسامعه كلحن هاديء يعانق

الحروف:

_ استيقظ فرعوني الجميل.

كان يسمعها أمنحوتب ولكنه مغمض العنين لا يريد أن يخبرها بأنه يسمعها كي تستمر في عزف كلماتها، نادته قائلةً:

_حبيبي.

فتح عينيه ونظر لها بعيون ملؤها عشق، كان ثوبها الأبيض الشفاف وحليها الذهبية الثمينة التي تزين ذراعيها تبرز مفاتنها وجمالها الأسر، وكأن مساحيق التجميل والزينة لم تجد ما تضيفه إلى جمالها .

قال أمنحوتب :

=أنا؟ جميل !!!

وضحك ضحكة عالية، ثم اعتدل في جلسته وقال :

=نفرتيتي ... أرى أن الحب قد وضع غشاوة على عينيك. أتريني جميل يا حبيبتي؟

_ أراك أعظم وأجمل فراعين الأرض، أراك سندًا وأملًا، أراك ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، أراك عشقًا يا مولاي.

= آآآه يا حبيبة القلب، كم أنا سعيد أن حظيت بحبك، أعدك ألا تعرف الدموع سبيلًا إلى عينيك ما حييت.

*****

صار الأميران الصغيران اللذان كانا بالأمس القريب يلهوان في حديقة القصر ملكًا عظيمًا وملكةً فاتنة، تغطى مفرقيهما بالتيجان الملكية بعد أن كانت تزينه الجدائل الطفولية، فاستبدلا أوقات اللعب بأوقات للتفكير في أمور البلاد، استبدلا ملابسهما بملابس رسمية ملكية، ووضعا على رأسيهما تيجانًا تتناسب مع وضعهما النصف إلهي .

ترك الفتى والفتاة الزورق الصغير المصنوع من سيقان البردي، وأصبحا الأن يجوبان مياه بحيرة القصر بسفينة ملكية تسمى (أتون يضيء) ذي أريكة مريحة تتناسب و وضع الفرعون ومليكته، يقوم الأرقاء بتسييرها والتجديف فيها، كان ينظر أمنحوتب في عيني نفرتيتي بعشق وكأنه غارق في بحر صفائهما.

لم يكن يشعر إطلاقًا بخجل وهو يمسك يدها أو يقبلها أو يداعب وجنتيها ويظهر حبه لها للدنيا بأسرها .

*****

كان أمنحوتب يجلس في غرفته الخاصة ينتظر، عندما دخلت إحدى الخادمات لتزف إليه الخبر بأن الملكة نفرتيتي قد وضعت ابنتهما الأولى:

_ مولاي الفرعون قد رزقت بطفلة جديدة فليباركها أمون .

هرول أمنحوتب إلى غرفة نفرتيتي وقلبه مليء بالفرحة والقلق والحب والرهبة وجميع المشاعر المتضاربة، كم هو فرح بأن كلل زواجه من حبيبة قلبه بطفلة تحمل صفاته وصفاتها، كم تمنى أن تكون قد أخذت كل جمال أمها وذكائها، كم هو مشتاق لرؤيتها تتثاقل الخطوات وتطول اللحظات وكأنها أيام، وكم هو قلق على حبيبته من الألم.

دلف أمنحوتب إلى الغرفة وهو يسمع بكاءًا يستعذبه ويستمتع به، إنها أميرتي الصغيرة، ورغم لهفته العارمة، إلا أن قلبه ساقه إلى نفرتيتي أولًا، كانت نظراته تسبقه إليها ليطمئن، وصل إلى فراشها وأمر جميع من بالغرفة بالإنصراف.

كانت نفرتيتي تحمل طفلتها، تطوقها بذراعيها تنظر إلى وجهها الملائكي بابتسامة رضا، حولت نظرها إلى أمنحوتب وقالت :

_قد بعث لنا أمون هدية يا أمنحوتب، أنظر كم هي رائعة !

=ما أبهاها وكأنها صورتك المصغرة يا حبيبتي، كيف استطاعت هذة الصغيرة أن تخطف قلبي هكذا!

فقالت نفرتيتي في دلال يعشقه هو:

_نعم... والأن ستقاسمني تلك الصغيرة في حبك .. أليس كذلك؟

جلس أمنحوتب بجاورها وأخذ رأسها على صدره وقال:

=وكيف للصورة أن تطغى على الأصل يا حبيبتي؟ أنت كل ما ادخرته من هذة الدنيا، أنت قوتي الناعمة، فلتكن فرع من أصل شجرة غرستها أنت في قلبي، ولتظلي أنت معنى الحب المتجسد في روحك.

_ إذن فبماذا سنناديها؟

=سأسميها (مريت أتون).

مرت أعوام قليلة رزقت فيها نفرتيتي بابنتين أخرتين، كانت السعادة تتخذ من قصر الفرعون أمنحوتب منزلًا. كانت تشرق الشمس في كل صباح لتنثر عليهم أشعتها الذهبية فتستمتع معهم ويستمتعون بها، وكانت نفرتيتي تشارك زوجها في كل أمور الحكم، حتى تقديم القرابين للألهة كانت الملكة الوحيدة التي تقدم للألهة قرابين، فلطالما اقتصر هذا العمل على الفرعون.

كان أمنحوتب يثق في رأيها في الكثير من الأمور الهامة في شؤون مصر، و كان دائمًا رأيها صائبًا .

إلا أن أمنحوتب كان كثير الشرود، كانت كثيرًا ما تشعر نفرتيتي أنه معها جسدًا بلا روح أو عقل، فهناك ما يشغل تفكيره بشدة.

*****

يجلس أمنحوتب على كرسي العرش، ومن حوله اجتمع الكهنة متأنقين في حجرة المعبد، حين دلفت أسطورة الجمال .. نفرتيتي بجمالها الأخاذ وشموخها الذي لم تحظ به امرأة غيرها.

أخذت الأنظار بطلتها وملبسها الأنيق وجسدها الرشيق، اتجهت الملكة لتجلس بجوار زوجها فرعون مصر، فقد كان أمنحوتب يجعلها مساوية له حتى في جلوسها بجواره في تجمعات الكهنة وغيرها، فقد حطم أمنحوتب كل القوانين حبًا في نفرتيتي، كانا يجلسان بشموخ وعلى رأسيهما تيجان عاليةً مصممة خصيصًا للفرعون والملكة، لم تكن نفرتيتي تظهر خصلات شعرها من أسفل التاج لتزيد من جمال طلتها، فهي لا تحتاج لذلك، فجمالها كان مكتملًا ولا ينقصه ما يظهره أو يزيده.

كانت تبغض الكهنة وتزدري نفوذهم، وأسلوبهم في استغلال الدين لكنز الأموال والثروات، جلس الكهنة يحاولون تنسيق جدول الأعمال التي سيتضمنها اليوم، حين نظر أمنحوتب إلى الكاهن العجوز (بتاحموس) قائلًا:

=اعرض علي ما يتوجب القيام به اليوم.

أجابه:سنذهب لمعبد (ويبواويت) يا مولاي، علينا أن نضع الزيت المقدس ليصل إلى منسوبه الطبيعي.

وقف أمنحوتب ووضع يديه خلف ظهره وتقدم عدة خطوات، ثم استدار إليهم، وباغتهم بتفجير مفاجأة غير متوقعة، فقال :

= أنا لا أؤمن بهذا الإله، ولا أقدسه، ومعبد ويبواويت لا يمثل لي أي شيء.

وقعت كلمات الفرعون على الحضور وبالأخص نفرتيتي كالصاعقة، صمتوا وصوبت أنظارهم إليه، فغروا أفواههم وكأن على رؤوسهم الطير غير مصدقين ما وصل توًا إلى أسماعهم، كانت نظراتهم تتناقل بينه وبين نفرتيتي، والتي ظهر عليها جهلها بما قال، أصيبت نفرتيتي بالذهول ولسان حالها يقول :

_(أي هرطقة تلك التي يعلنها الفرعون؟).

خرج الفرعون خروجًا صريحًا على العقائد، كفر كفرًا بينًا بجميع الآلهة، أعطى للكهنة سلاحًا قويًا ليعلنوا به الحرب عليه، إلا أن نفرتيتي أرادت أن تنقذ الموقف، فوقفت وهمت بالحديث.

جذبها أمنحوتب لركن من أركان المعبد وقال بصوت خفيض ملؤه الثقة:

=أنا أعرف ما أفعله.

أمر أمنحوتب الكهنة بالإنصراف فانصرفوا صامتين دون أن يحركوا ساكنًا من هول الصدمة، ثم استدار إلى نفرتيتي التي ما زالت المفاجأة تلجم لسانها قائلًا:

=غدًا سيعرف الجميع من أنا، ولن أسمح لهؤلاء الكهنة المتغطرسين بالتدخل في أي من قراراتي ولن أسمح لهم حتى بدخول المعبد .

قالت نفرتيتي وهي تكاد أن تفقد الوعي من أثر الصدمة :

_كيف لك أن تتحدث بهذه الطريقة عن الكهنة؟

لم تكن نفرتيتي تكن حبًا أو احترامًا لهؤلاء الكهنة ولكنها كانت أذكى من أن تسبهم أو تقلل من قيمتهم علنًا، ولسان حالها يقول :

-هل جن الفرعون؟ هل كفر؟

استأنف أمنحوتب حديثه:

= سنعبد آتون ولن نعبد إله غيره.

كان آتون هو الإله المتمثل في الشمس، فلطالما كان شروده تفكيرًا وتدبرًا في دين جديد._هل يعلم الكهنة بذلك يا مولاي؟...سألت نفرتيتي.

فما وجدت من أمنحوتب إلا ابتسامة ماكرة صامتة.

*****

عمت الهمهمات أرجاء القصر بل مصر بأكملها فقد انتشر خبر كفر أمنحوتب بالآلهة إنتشار النار في الهشيم في جميع أنحاء البلاد، ولاقى ذلك الخبر امتعاضًا من الجميع، كانت تسيطر فكرة أن الفرعون قطعًا قد جن وخرج عن دين آبائه وأجداده على تفكير الجميع.

وقد أجج الكهنة هذة الفكرة بين جموع الشعب وزادت من فكرة الهرطقة والكفر حتى أنهم اتهموه أنه قد فقد عقله، لم يكن في يد نفرتيتي شيء وهي واقعة بين مطرقة وسندان، سحقت بينهم دون رحمة، نعم مؤمنة هي بزوجها ..ولكنها تخشى عليه العواقب.

ساء الوضع وازدادت كراهية الشعب للقصر، نشأ شق عميق بين الفرعون وشعبه خاصة بعد غلق معابد آلهتهم وبالأخص آمون، وتجريم ومعاقبة من يعبده حتى في الخفاء، ضاقت نفرتيتي بما تراه من نظرات مؤنبة والتي أصبحت تحيط بها، حتى مرآتها أصبحت تعاندها تصر على أن تفضح خريف ملامحها وتخفي ربيع قلبها.

كرهت القصر وتاقت للرحيل إلى مكان بعيد لم تجد فيه تلك النظرات ولا أشباح الكراهية والمعابد المغلقة، باتت تفكر كيف سيعشن بناتها في ذلك الجو الكئيب...!

هل حقًا غضب الآلهة القدامى ما سبب لها هذا الضيق ؟ هل كونها بدأت في مساندة زوجها في دعوته هو ما أثار غضب الآلهة عليها؟

قالت نفرتيتي وجسدها يرتعد من القلق والضيق :

_مولاي....

ما عدت أطيق العيش في هذا المكان، ما عدت أستطيع تحمل كل تلك الصراعات، فقد بدأ الكهنة في مؤامراتهم الخفية ولكنها لا تخفى على من تملك ذكاءًا كذكاء نفرتيتي .

= سأبني مدينة جديدة لنا . أجابها أمنحوتب.

_أي مدينة تلك؟ وأين ستكون؟ ولم لم تخبرني بذلك من قبل ؟

=أتذكرين يا نفرتيتي ذلك الهلال الواسع من الأرض الخصبة البكر الواقع بين مدينتي طيبة وممفيس الذي رأيناه من السفينة في شهر العسل، حين وصفه ربان السفينة بالعالم الصغير المستقل؟ ذلك هو المكان الذي ستقام عليه مدينة آتون الجديدة، هو مكان لا يملكه أي إله أو إلهة أو أمير أو أميرة، ستكون أعظم مدن العالم ولن أغادرها ما حييت.

كانت نفرتيتي مخلصة لهذا الحلم بكل جوارحها، حلم بناء مدينة لم يعبد فيها إله من قبل، ورغم كل صفات الجمال والرقة والأنوثة التي تميزت بها، إلا أنها أيضًا قد ورثت من الملكة تي القوة والصمود والصبر ورباطة

الجأش، فأخذت تخطو خطوات تساند بها زوجها وتعينه في دعوته، فقد بدأت في ترميم الشق الذي حدث بينه وبين شعبه، كانت تحاول تهدئة أبناء الشعب وتقنعهم أن القادم سيكون أفضل وأن أمنحوتب يعمل لصالحهم، كان أبناء الشعب يحبونها، ويكنون لها احتراماً وغلاوة.

باتت أيضًا تعمل على تهدئة الزوجات الثائرات بسبب إجلاء الفرعون لأكثر من ألفي مواطن وعالم وعامل لبناء المدينة الجديدة وتوعدهم بأن يكن مميزات فيما بعد، ومن لم تكن تصغ إلى وعودها، كانت تظهر لها نفرتيتي الوجه الآخر وتخبرهن بأن من لم تنفذ فلن تحظى بأي ميزة في المدينة الجديدة.

*****

و ذات صباح....

أفاقت نفرتيتي من نومها الذي جفاها لفترة طويلة ماضية، لتجد أمنحوتب يقف صامتًا كالتمثال، فأرادت أن تلفت انتباهه ونادته:

_أمنحوتب...!!

لم يتحرك أمنحوتب ولم يستدر وإنما رد في ثبات وثقة شديدين:

= لست أمنحوتب من اليوم.

قد خرجت من تحت عباءة آمون ولن أدعى له من بعد اليوم، كيف أكون (آمون_حوتب) وأنا لا أؤمن به؟ قد ادخرت أفضل ما حبيت به لهذه اللحظة يا نفرتيتي.

إعتدلت نفرتيتي في جلستها وهي تكاد لا تدرك ما يحدث، وعقلها لا يكف عن التفكير دون جدوى، وقالت :

- بأي اسم سأناديك إذن؟

= ((إخن أتون))من اليوم أنا .. إخناتون .

*****

كان يجلس الوزير آي يحتسي الشراب في شرفة القصر الجديد بمدينة العمارنة (مدينة إخناتون الجديدة)، كان يضيق صدره من الملل فهو ماكث هنا منذ عامين ليشرف على بناء المدينة الجديدة، فكان هو من ولاه إخناتون مسئولية بنائها.

وكان قد أرسل رسالة إلى فرعون مصر إخناتون منذ أسبوع مضى، تفيد بأن المدينة قد اكتمل بناؤها وبانتظاره لافتتاحها ووضع حجر الأساس للمعبد، من الطبيعي أن يستغرق الفرعون ليصل إلى العمارنة ثلاثة أسابيع في الوضع العادي، ولكن إخناتون كان يتوق إلى رؤية عالمه الجديد فلم

يستغرق الأمر سوى أسبوع.

كان صفو الهواء باهرًا بهيًا وحرارة الشمس لطيفة في الظل، يجلس آي في شرفة القصر الجديد يتامل منظر النيل الخلاب في هدوء، حين فوجيء بأسطول بحري يسير باتجاه العمارنة فوق صفحة النيل المقدس على مرمى البصر، به المئات من السفن التي تسبح باتجاه العمارنة.

يقف الفرعون والملكة نفرتيتي في مقدمة أضخم السفن والتي تتقدم الأسطول ومعهم بناتهما الثلاث المدللات، رفع إخناتون العلم الملكي إشارة للنصر عندما لاحت له مدينته الجديدة .

أما عن آي..

فكأنما سقطت غيمة من السماء لتشوش رؤيته لذلك الأسطول، إلا من قرص الشمس المتوهج هذا والذي كان متمثلًا بالنسبة له في الجميلة نفرتيتي، فهو لم يعد يرى سواها.

*****

جاء يوم الاحتفال بوضع حجر الأساس للمعبد الجديد والمدينة، وكالعادة تشاركا إخناتون ونفرتيتي في وضع الحجر فلطاما كان كل منهما بمثابة نصف فرعون ليكملا بعضهما.

كان الاحتفال عظيمًا ضخمًا به من البزخ على الزينات والطعام والشراب مالم يحدث من قبل، حتى أن إخناتون قد أمر بتسجيله على إحدى لوحات أحجار الأساس والتي أقامها في حرم مدينته المقدسة.

كان الوزير آي لا يكترث بأي من مراسم الاحتفال، هو فقط كان يتجول في مواطن جمال نفرتيتي والتي أسرته بفتنتها ولم يعد يقوى على الخلاص من أسره، أخذ يطوق حسنها بعينيه، كان سارحًا في ملكوت آخر بروحه غير ذلك الذي به جسده، فكم عشقها وتاقت روحه لامتلاكها .

أكثر من الشراب في هذا اليوم حتى فقد السيطرة على نظراته لم يعد يتحكم في بوصلة عينيه، فلفت تركيز عينيه انتباه الملكة، كثيرًا ما كانت تلاحظ نظراته لها وتدعي عدم الانتباه، ولكن اليوم..... لن يجدي نفعًا تظاهرها الكاذب بعدم الاكتراث، فأشارت له بأن يقترب.

انتفض قلبه فهو الأن سيقترب من مولاته ومالكة قلبه وكيانه سيستنشق عبيرها ويستشعر حرارة الهواء المحيط بجسدها، سيستمتع ببعض كلمات مخملية الملمس تتهادى إلى أسماعه كخيوط حريرية أو أنغام بلابل ذهبية.

اقترب الوزير آي من نفرتيتي، وعيناه معلقتان بشفتيها المكتنزتين، وحرارة جسدها تلفح قلبه المحترق شوقًا.

لم يكن يعي من حديثها شيئًا، كان منشغلًا بوقع اسمه وهو ينساب من بين شفتيها. استفاق آي عندما كررت نفرتيتي نداءه ليستفيق:

_ آي!

=نعم مولاتي.

_أثق بذكائك وأعلم أنك ستعي ما سأقوله جيدًا.

= كلي آذان صاغية لأوامرك يا مولاتي.

_ إن رأيت عينيك تنظر لي بتلك النظرات ثانيةً ولم تسيطر عليهما، سأجعل من جسدك وليمة عشاء للتماسيح.

إتسعت حدقتاه من المفاجأة دون أن ينطق فكررت:

_ أفهمت؟؟

نظر آي إلى الأرض وقال :

=معذرةً مولاتي، قد فهمت.

مرت ليلة آي كسنين عجاف طوال لم ينبت فيها أي أمل، ولكن أبدًا لم يكن آي ليستسلم، فكم عرف عنه الدهاء والإصرار، كان آي شاردًا فيما قالته له الملكة، وهنا حدث نفسه قائلًا:

=سأقتله. نعم ليس لدي أي خيار آخر فإخناتون لم ينجب ذكورًا وبقتله سأملك نفرتيتي مدى الحياة وأجلس على عرش مصر ولن يستطيع

أحد أن يمنعني من تحقيق ذلك.

كان كل تفكير آي منصب على كيفية إحكام الجريمة الكاملة دون أن يشير إليه أي إصبع اتهام واحد.

وهمس لنفسه قائلًا :

=سأصبح فرعون مصر.

*****

عادت حياة العاشقين لهدوئها مرة ثانية، فقد كانا يستيقظان كل صباح على صوت ترانيم ملكية هادئة، ابتعدا عن كل ما ينغص حياتهما، استعادت نفرتيتي ثقتها في إخناتون، عادت تغدق عليه من الحب ما ينبت بداخله القوة. وهو بدوره يغدق عليها بالألقاب الملكية والمكانة العليا، عاشا قصة حبهما من جديد مع بناتهما في مدينتهما الجديدة، وكأن الشمس أرادت أن تكافئهما على ما قاما به.

بدأ إخناتون في وضع قوانين جديدة للعمارنة، متماشية مع تعاليم دينه الجديد، والذي كان هو ونفرتيتي فيه يقومان بدور الوسيط بين الشعب وآتون (إله الشمس).

*****

طلب إخناتون أن يأتوه بالجنرال (حور محب)، وكان يعرف عن حور محب أنه مولع بالقتال، قال إخناتون موجهًا حديثه إلى حور محب:

=أردت أن أبلغك بقراري يا حور محب، فنحن لن نشن حروبًا على جيراننا من الدول بعد اليوم.

جاهد حور محب في استيعاب ما قاله الفرعون، كاد أن يطير عقله بعد ما سمعه، أراد أن يتأكد مما فهمه من ذلك الحديث فقال:

_عفوًا مولاي لم أفهم قصدك.

=كما سمعت، فتلك هي تعاليم ديننا الجديد.

صمت حور محب، فكان تأكيد الفرعون على مقصده من الحديث هو حقًا ما كان يخشاه، صمت لبرهة وحديث نفسه يقول:

أي فرعون هذا الذي يسعى لدمار البلاد بهذة السرعة! من أين أتانا هذا المهرطق لنسير تبعًا لأفكاره الطائشة !!

كان حور محب يتوق للقيام بانقلاب عسكري يطيح بحكم الفرعون، وها هو يقدم له الأسباب على طبق من ذهب.

_مولاي..

ولكنك تعلم جيدًا أننا نعتمد على الحرب في كثير من الأشياء الثروة، الأمن، وحتى مكانتنا بين الشعوب، وكما تعلم سيدي أن دولتنا هي الأقوى

بين الدول وعلينا أن نحافظ على ذلك لا أن نضعفها ونقلل من مكانتها.

كان يعلم حور محب أن الأمور تسير للأسوأ في البلاد منذ المجيء إلى العمارنة، لكنه لا يقوى على قولها، فصمت وانصرف عل الأمور يجد فيها ما يريح قلبه.

*****

كانت نفرتيتي تمتلك من الذكاء ما يجعلها تستشعر خطورة المؤامرات التي تحاك في ظهر الفرعون.

ورغم الحب الشديد الذي تملك قلبها للفرعون، إلا أنها تعلم أيضًا أنها لم تنجب سوى إناث فقد رزقت بثلاث بنات أخريات في العمارنة وأن الفرعون لابد له من وريث للعرش لا محالة، كي يكف المتآمرون عن الطمع في عرش مصر.

قالت نفرتيتي:

-مولاي إخناتون...

تقف البلاد الآن على مشارف مرحلة حساسة، ولابد أن يكون لك ولد يرث عرشك ويكفيك شر من يضعون أعينهم ويتوقون إلى عرش مصر.

نظر لها إخناتون وهو لا يفهم ما تقصد، تابعت حديثها:

كما تعلم أن الأميرة كيا قد أرسلها والدها كهدية صلح بين مملكة ميتاني ومصر، وأنا أرى أنها مناسبة للزواج و لتنجب منها ولدًا.

لم يتخيل يومًا إخناتون أنه سيستمع إلى هذا الحديث من نفرتيتي فهو يعلم جيدًا كم تحبه ويعلم أيضًا إخلاصها لآتون ولأرض مصر، ولكن هل يصل إخلاصها إلى حد أن أتزوج من امرأة أخرى!!

(حدث إخناتون نفسه)

استغرق إخناتون بعض الوقت ليستوعب ما تقوله نفرتيتي، ولكن... هو يعلم جيدًا أنها على صواب. ولم يكن أمامه من خيار أخر... ففعل.

*****

الليلة هي الليلة الأولى التي تحل فيها محلها زوجة أخرى في فراش حبيبها، ورغم أنها هي من بادرت بطرح الفكرة، إلا أنها كانت تتمنى أن يرفض إخناتون اقتراحها ويظل مخلصًا لحبها مهما كانت العواقب.

فكيف للحبيب أن يستبدل حبيبه بشخص أخر !!

ولكنها كان لديها من القوة والجلد ما يعينها على ليلة كهذه.

نهضت نفرتيتي وارتدت ملابسها وخرجت من حجرتها إلى الباب الخلفي للحديقة لتسير في هواء طلق، فهي تأبى أن تظهر غيرتها حتى لنفسها كانت تحدث نفسها قائلة:

– هو فقط تزوج لينجب ولدًا، غير أن ذلك كان قراري.

هي تعلم جيدًا أنه كان لديه محظيات وجواري شأنه شأن كل فرعون اعتلى عرش مصر ولكنها تعلم أيضًا أنها كانت علاقات عابرة، وإنما في النهاية هي من تستقر في قلبه و إلى جواره على عرش مصر، ولكن كان كل ما تخشاه، أن تصبح تلك التي في فراشه في تلك اللحظة أمًا لولي العهد والملكة الرسمية على عرش مصر وينتقل إليها كل الحب والاهتمام، خاصةً وهي لا تغفل ما عليه الأميرة الجديدة من جمال.

تكررت مرات ذهاب كيا لغرفة إخناتون الخاصة، ويبدو أن إخناتون قد اعتاد على وجودها.

وهنا سمحت نفرتيتي لدموعها أن تنزل، فقد خان حبيبها ثقتها وأصبحت كيا هي المقربة إليه، وتكررت مرات بكاء نفرتيتي وحسرتها، وها قد حان لقصة الحب التي وصلت لأعلى نقطة في منحنى العشق، أن تبدأ في الهبوط، تباعدت المسافات بين نفرتيتي وإخناتون تدريجيًا، وازداد التباعد عندما بدأ في الإسراف في الشراب وضعف إيمانه، وكانت هي شديدة

الإخلاص لآتون.

فقد بدأ إخناتون في إخبار الناس بأنه آتون نفسه، وأنه لا فرق بين الفرعون والإله، كانت أيضًا أحوال البلاد في تدهور ملحوظ، ولم يكن هناك من يقوى على انتقاده سوى نفرتيتي، لذلك بدأ إخناتون في إبعادها عنه تدريجيًا حتى لا تضعه أمام مرآته.

لم تحتمل نفرتيتي أيضًا كم المؤامرات التي تدار للإطاحة بإخناتون وبها شخصيًا، حتى جاءت القشة التي قصمت ظهر البعير، ماتت ابنة نفرتيتي وإخناتون الأميرة (مكت آتون) فانشطر قلب نفرتيتي وزهدت الحياة، غابت الألوان عن حياتها وبهتت الصورة، فالقلب يموت منه كل يوم جزء، فما الذي تبقى لها؟

وفي ظل تدهور أحوال البلاد وصلت الأخبار إلى الملكة تي أم إخناتون، فحضرت بنفسها إلى العمارنة، كي تحاول إصلاح ما أتلفه إخناتون. فهي لطالما كانت العقل المفكر في كل أمور البلاد في عهد أبيه وأيضًا في بدايات توليه حكم مصر.

لم تحتمل نفرتيتي كل تلك الضغوطات وضاقت بكل من حولها وخاصةً بعد حضور الملكة تي فقد لغت وجودها تمامًا ولم يعد لها أي دور بالقصر .

قررت نفرتيتي ترك القصر نهائيًا،

هجرت حبيب العمر و رفيق الدرب ومالك القلب وفرعون البلاد، هجرت من زرع في قلبها الزهور وكف عن سقياها .. فذبلت، هجرت حياةً كانت قد بنتها معه لغيرها، وإذا الأحباب كلًا في طريق.

تركت نفرتيتي القصر وذهبت لتعيش في الضاحية الشمالية من المدينة في قصر آخر خاص بها. أخذت معها الطفل الذي وضعته كيا، فهو الوريث الشرعي للعرش ولم يكن ليجد في هذه الأجواء الرعاية الكافية لتنشئة فرعون مصر القادم. كانت كيا قد ماتت وهي تضع مولودها هذا، وأصبحت نفرتيتي هي أمه التي يعرفها والتي يرى فيها الحنان والرعاية.

كانت نفرتيتي تعيش في قصر لا يبعد كثيرًا عن قصر إخناتون الملكي، ولكنها كانت منفصلة عنه تمامًا، فليس بهين على ملكة تمتلك شخصية كشخصية نفرتيتي أن تقبل بأن تكون مجرد تكملة لهيكل خارجي.

اختارت نفرتيتي كرامتها كأنثى، وتنحت عن دورها في القصر واستقرت بقصرها الخاص لتحافظ على ما بقي لها من كبرياء، كان عزاؤها الوحيد هو ذلك الصبي (توت عنخ أمون) والذي أحبته وكأنه نبت من رحمها، كانت تغدق عليه من حنانها ورعايتها ولم يمنع ذلك من أن ينشأ نشأة ملكية ويتعلم فنون القتال والحكم، فهي كانت حقًا تعد فرعونًا لمصر

*****

كان إخناتون كلما استشعر قرب سقوط مملكته انغمس في الشراب أكثر فأكثر، كان بالنسبة له هو الملاذ الوحيد وطريق الهروب مما حوله، تزايدت الهمهمات والمؤامرات وهو لم يكن غافلًا عما يدور في القصر، ولكنه كان يخرس الصوت الصارخ في عقله أن يفيق، بذلك الشراب اللعين

انصرف العامة عن العبادة وأصبحوا يسعون إلى كفاف يومهم، حال البلاد في انهيار مستمر بعدما كان عصر إخناتون من أزهى العصور التي مرت على مصر، وكان الوزير آي كلما وقعت عيناه على إخناتون، يستشيط غيظًا، أهذا هو فرعون مصر!!، أهذا أحق مني بكرسي العرش!!

ولكن علي أن أتحلى بالصبر.

*****

مرت خمسة أعوام على ترك نفرتيتي للقصر الملكي، كانت تجلس تحت أشعة الشمس في حديقة قصرها وقد مر أمامها شريط ذكرياتها مع حبيبها ورفيق عمرها، كان ينهش قلبها الحنين كوحش ضار انفرد بفريسة مستسلمة، ورغم كل محاولاتها لأن تكون صلبة ولا تستسلم، إلا أن الحب حاكم ظالم دائمًا ما ينطق بحكم سجن أبدي على الطرف الأضعف داخل معتقله دون دفاع. لا يقبل بأوامر غير أوامره، فكيف تعصي له أمرًا؟

هزمت نفرتيتي أمام حنينها، استسلمت لحديث الذكريات، سمحت لعينيها أن ترى ذكرياتها السعيدة، فكلما تذكرت لمسةً منه أو كلمة حب تعانقت على مسرح وجهها ابتسامة عشق هادئة مع دمعة حزن لضياعها، تملكها شعور فقد حبيبها الأوحد، مختلطًا برغبة في الانتقام. ولكن.. كيف يكون انتقام المحبين! تمنت لو أنه يعاقب بالاشتياق، يشتاقها ولا يجدها، يفتقد عيونها ولا يستطيع رؤياها، وهذا كل ما كان لديها من حقد.

كانت تتساءل:

- هل يذكرني؟ هل ما زال يحبني ويتذكر أيامنا الخوال؟ هل أنسته غيري عشقه لي؟

قطع شريط ذكرياتها صوت عذب تحبه:

=أماه... ماذا بك؟

قد أتى توت عنخ آمون بعدما انتهى من درسه بحجرة الدراسة الملكية بمدرسة الأمير، مع أخته وصديقته المقربة (عنخ سن با أتن).

أجابته نفرتيتي:

_أنا بخير يا صغيري.. اقترب يا توت.

اقترب توت وجلس بجانب نفرتيتي، فأخذت وجهه بين كفيها في حنو شديد وقالت:

_ أثق بك يا توت وأعلم أنك ستصبح فرعونًا عظيمًا لذا عليك الاهتمام بدروسك وتعلم فنون القتال كما يجب، ففرعون مصر نصف إله يا توت ولابد أن تكون على قدر المسئولية.

هز رأسه دليل الموافقة، وسأل في براءة وذكاء معًا:

= ألم يسأل عني أبي قط؟؟

_ بلى يا صغيري هو يعلم أنك بخير حال ومطمئن على أنك بذرة فرعون عظيم.

قطعت حديثهما الوصيفة الأقرب للملكة، وطلبت الإذن بالحديث، فسمحت لها نفرتيتي.

_ مولاتي ... هناك رسول من القصر الملكي يود لقاءك على وجه السرعة.

خفق قلب نفرتيتي بقوة فما الداعي لمجيء رسول إليها من إخناتون؟ وأي رسالة تلك التي يحملها؟

_ اسمحي له بالدخول.. قالت نفرتيتي

ثم وجهت حديثها لتوت عنخ آمون:

_اذهب أنت الآن يا توت.

حضر الرسول ووقف أمام الملكة نفرتيتي منحنيًا في وضع تبجيل لملكته، منتظرًا السماح له بالحديث.

●هات ما عندك.. ما هي الرسالة التي أتيت من أجلها؟؟

رفع رأسه ليقف منتصبًا مواجهًا للملكة وهو ينظر للأرض وقال:

=مولاتي.. أمرني الوزير آي أن آتي وأبلغك بأن..

صمت قليلًا:

فقالت.. تحدث بأن ماذا؟؟

=بأن مولاي الفرعون.. قد مات....!

وقع الخبر على مسامعها كخنجر صديء غرس في أعماق قلبها، أخذ يقطع نياطه ببطء شديد دون نزف، دون دموع، دارت بها عجلات الكون لم تعد تشعر بشيء، لا تسمع صوتًا، لا تبصر لونًا، جميع الألوان لديها تماثلت في اللون الأسود، أضحت تقف في منتصف اللا شيء، تقف في بؤرة العدم، انزوى قلبها بداخلها، كسا الوجوم ملامحها، تهاوت دون أن تدري على أقرب مقعد، غارقة في شرودها، سارحة مع صورته، وقد اغرورقت عيناها

بالدموع، طأطأت رأسها، ويديها على مساند المقعد، تاهت لبرهة ثم رفعت يدها للرسول أن انصرف!

انهارت في بكاء ونحيب شديدين، وأخذت تحدث نفسها.. كيف كانت نهايتك يا إخناتون ؟ولمن تركتني؟ هل شعرت بألم ولم أكن بجانبك؟ من ذا الذي كان يخفف عنك أوجاعك؟ ترى هل كانت مؤامرة أم أنه موعدك المحتوم مع العالم الآخر الأبدي؟

وعادت بذاكرتها إلى الزورق الصغير المصنوع من سيقان البردي، طارت روحها لتنظر من بعيد إلى هذين العاشقين وتتأمل نظرات حبهما، ثم حدثت نفسها بصوت خفيض :

_ اليوم مات نصفي يا إخناتون .اليوم أصبحت جسدًا بلا روح، ولكن.. ارقد بسلام يا حبيبي وسيدي سأظل على العهد، وليكن توت عنخ آمون فرعونًا لمصر تفتخر به حيثما تكون.

٣
(توت عنخ آمون وعنخ سن با أتن)

(توت يا صغيري... يا لك من مسكين، ترى ماذا يخبيء لك القدر؟)

قالتها نفرتيتي وهي تحمل طفلًا صغيرا لم يمر على ولادته سوى بضع دقائق. في حقيقة الأمر هو لم يكن ابنها، ولكنه ابن إخناتون من زوجته الثانوية (كيا). ولقد شاء القدر أن تموت كيا وهي تضع مولودها، فبطبيعة الحال كانت لتربيه نفرتيتي وليعيش في كنفها .

ضمت نفرتيتي الطفل في حنو شديد وكانت خفقات قلبها تحتضنه وتهدهده ليطمئن، فمنذ اللحظة الأولى والتي وقعت فيها عيناها عليه، شعرت وكأن قلبها خرج من بين ضلوعها ليخبئه من غدر الزمن.

كان قد مر على دخول كيا القصر، ثلاث سنوات كانت تبتعد فيها نفرتيتي عن إخناتون يومًا من بعد يوم، فهي تراه يقترب من كيا كل يوم أكثر، ومع سوء أحوال البلاد المستمر ، وضيق طيبة من إخناتون وسعيهم لقتله ثأرًا لآلهتهم التي أقصاها واستبدلها بإلهه، ومع إدعائه إنه هو آتون ذاته، فقد ضاقت نفرتيتي ذرعًا، حتى وزيره الذي يدعي الإخلاص له، ما

هو إلا متربص للإيقاع به وأخذ مكانه في قلبها وعلى عرش مصر. وأما الجنرال حور محب فكان يذهب لفراشه كل ليلة وهو يحلم بانقلاب عسكري للإطاحة بإخناتون .

يالتضارب الأقدار و يا لمرارة الأيام، كيف للأيام أني تخفي بأحشائها كل هذا التناقض!!

كم مرت عليها أيام كانت ترتفع قدماها عن الأرض من فرط سعادتها ! واليوم ... اليوم تأبى لياليها أن ينقشع عنها سوادها .

بدأ الطفل في البكاء، فضمته نفرتيتي إلى صدرها وهمست له

_ لا تخف.. لا تخف، فمن الآن أنا أمك، سأحافظ عليك وأسكنك بين رموش عيني ولن أتركك وسط تلك الصراعات يا صغيري، سأربيك أنا لتكون فرعونًا عظيمًا، اهدأ الآن يا صغيري.

عزمت نفرتيتي على الرحيل، شيعت قصة حبها في تابوت ثقيل لا تقوى على حمله، حزمت كل ما تبقى لها من كرامة وكبرياء وحب، أخذت أطفالها وتوت متجهةً إلى قصرها الخاص، تاركةً خلف ظهرها كل الصراعات والإهانات والخيبات والخيانات والدمار النفسي الذي طالما عانت منه في سنواتها الأخيرة خاصة بعد موت ابنتها، فمنذ ذلك اليوم اعتادت نفرتيتي الحزن، تبدلت لمعة عينيها البيضاوين إلى حزن عميق دفين لم

يعد يفارقهما، استقرت نفرتيتي في قصرها وقد عزمت على تنشئة توت وبناتها تنشئة ملكية سليمة بعيدة عن التوتر والصراعات .

كان توت طفلًا رائعًا محبًا لنفرتيتي ولأخواته حبًا شديدًا، وكانت بذرة حبه تكبر وتترعرع يومًا بعد يوم في قلب نفرتيتي.

فهو _الآن_ لم يعد سوى ابنها الذي نبت في رحمها، وإن كانت .. لم تلده، كان توت يتلقى دروس الكتابة وفنون القتال وأساسيات الحكم على أيدي أمراء مهرة، وكانت نفرتيتي دائمة المتابعة له والعناية به . دائمًا ما كانت تشاركه أخته _الأقرب إليه سنًا وأكثرهن ارتباطًا به _ في كل الدروس (عنخ سن با أتن) كانا صديقين حميمين أكثر من كونهما أخًا وأختًا.

في هذا اليوم كان توت يتلقى درسًا في فن القتال، كم كان مولعًا بتلك الدروس. وكانت عنخ تعشق حضور تلك الدروس معه لتستمتع برؤيته وهو يحمل قوسه الصغير ويتدرب على استخدامه . ورغم صغر سنة فقد كان في الثامنة من عمره، إلا أنها كانت دائمًا تراه في صورة محارب مقدام قادر على هزيمة جيش كامل من الأعداء بمفرده، فهي رجولة مبكرة في نظرها. وبدوره توت كان يبذل قصار جهده ألا يخطيء التصويب أمامها فكم كان هو الآخر مولعًا بها.

مثبتة عينا عنخ على توت أثناء تدريبه ويعلو وجهها ابتسامة فخر به، وأثناء تحركها للذهاب للجانب الآخر لتكون لها الرؤية الأوضح، لم تنتبه لحجر صغير ملقى على الأرض فتعثرت قدماها وسقطت.

صرخت عنخ من الألم ولكنها لم تتأوه ولم تنطق ببنت شفه، بل كانت أول حروف تخرج من فيها هي حروف اسمه، فهو في عينيها الفارس المنقذ.

_ توت ....!

سقط القوس من يد توت فور سماع صوتها، هرول إليها هو ومدربه، أقبل المدرب ليحملها ولكن توت أبى أن يحملها غيره، ورغم صغر حجمه وضعف جسده، إلا أنه حاول جاهدًا حملها .. وقد فعل . وصل توت إلى القصر حاملًا بين ذراعيه أخته وصديقته ... وحبيبته عنخ، وكانت أول من رأت المشهد هي الملكة نفرتيتي، ورغم ما أصابها من قلق على ابنتها، إلا أن وجهها اعتلته ابتسامة هي تعلم معناها .

نطق مدرب توت مبررا للموقف ..

=كنت أود حملها يا مولاتي ولكن توت رفض.

اتسعت ابتسامة نفرتيتي وأشارت له أن ينصرف.

وضعها توت في فراشها وكان يتصبب عرقًا ويلهث من الإرهاق، أقبلت نفرتيتي على عنخ لتطمئن عليها وأرسلت في طلب الطبيب، وعندما طمأنها الطبيب وراحت عنخ في ثبات عميق إثر تناولها عقارا ليخفف الألم، استدارت نفرتيتي لتوت والذي كانت عيناه جامدتين متصلبتين على عنخ حتى الآن.

_توت..! (قالت نفرتيتي)

= نعم يا أماه.

_ فخورة انا بك يا صغيري فصفات الملوك والنبلاء تجري في عروقك كمجرى الدم.

سعد توت بما سمعه منها واستأذنها في الانصراف. فلديه الآن درس في كتابة الحروف الهيروغليفية.

ذهب توت بعدما استبدل ملابسه إلى حجرة الدراسة الملكية شاردًا ذهنه، لم يتحكم في خفقات قلبه فقد ترك قلبه هناك في غرفة عنخ، وبمجرد دخول توت إلى حجرة الدراسة، عنفه معلمه الأمير قائلًا:-

-كعادتك يا توت ... تأتي متأخر عن الدرس واكون انا في انتظارك، أعلم أنك عندما تصبح فرعونًا ستأمر بقتلي ولكنك الآن ما زلت تتلقى العلم على يدي.

قد كان توت مولعًا بدروس القتال وركوب العجلة الحربية ولطالما حلم بيوم يقود فيه جيش مصر ويتقدمه بعجلته الحربية وينتصر على أعدائه، وفي الحقيقة هو كان أهلًا لذلك، أما عن دروس الكتابة ... فكان يراها عقابًا وليس تعلما .

نطق توت:-

- أيها المعلم ...

-اصمت لا أريد سماع كلمة واحدة منك، اجلس لتتعلم كتابة الحروف الجديدة.

وفي اليوم التالي .. .ذهب توت قبل موعد دروسه ليطمئن على عنخ ، دلف من باب حجرتها ليجد نفرتيتي إلى جوارها ومن حولها الخدم، تعلقت نظرات عنخ به بمجرد دخوله وحانت منها ابتسامة رقيقة، كانت تلك الابتسامة دائمًا ما تخطف قلب توت، فيتحسس مكان قلبه فلا يجده فقد استقر بين يديها.

استفاق توت من سكرات عشقه وبادر بسؤاله ممازحًا كي يخفي حبه عن الحضور....

-أراك أفضل اليوم أيتها الفارسة ..هل ستحضرين معي درس اليوم؟

ضحكت نفرتيتي وعنخ ثم سألتها..

_أتستطيعين يا عنخ؟

نظرت عنخ إلى توت وقالت :

=نعم يا أماه .. سأذهب معه .

دلف العاشقان الصغيران إلى غرفة الدراسة الملكية، وكان في انتظارهما المعلم، وجه حديثه إلى توت وهو عابس الوجه قائلًا:

= تفضل اجلس لنرى ما تعلمته بالأمس.

نظر توت لعنخ نظرة بها من السخرية ما يضحك، هي غارقة الأن في بحور من الضحك على حظ أخيها العاثر. جلسا ليتلقيا درسهما من معلمهما العابس، كان توت يأمل في هذه اللحظة بدلًا من أن يجلس حبيس هذه الجدران أن يكون سابحا في مياه النيل متوخيًا الحذر من التماسيح، أو مصطحبًا حبيبته عنخ في رحلة بالعجلة الحربية أو واقفًا على قمة أحد الجبال الشاهقة يمعن النظر في صخور أرجوانية اللون لهضبة بعيدة مستمتعًا بمجرد التفكير في أن كل تلك الأراضي التي يراها على مد بصره ستصبح في يوم من الأيام ملكًا له، لم يكن هذا وهمًا أو سرابًا أو حلم يقظة لصبي، وإنما كانت الحقيقة بعينها .

انتهيا من درسهما وجاء موعد تعلم ركوب العجلة الحربية .

قال لها:

= لا تأتِي أنت اليوم يا عنخ حتى لا تتأذي، فما زال حادث الأمس يؤثر على خطواتك.

_ لالا أنا بخير هو ألم طفيف، سآتي معك.

سعد توت بإجابتها وتحركا إلى الصحراء سويًا، وفي طريقهما إلى المكان المحدد للتدريب قال لها:

=أتعلمين يا عنخ؟

_ لا.

=لا ماذا؟

_لا أعلم.

=أنا لم أكمل حديثي بعد! يالك من مستفزة.

ضحكت عنخ وقالت.

_أكمل إذن.

= كم أتوق إلى رحلة بالعجلة الحربية أكون فيها أنا وأنت فقط.

_ لماذا يا توت؟

=لا أريد سواك يا عنخ، ولا يجمل يومي بدونك.

ابتسمت عنخ ابتسامة خجل وكأن ما ألقاه على مسامعها قد جعل الروح تدب في جسدها الغافي فأحيته.

نظرا إلى بعضهما نظرة ملؤها حب، وكأن آلهة الحب قد ألقت بأسهمها لتستقر بهذين القلبين الصغيرين، لتبدأ اليوم قصة حبهما.

*****

كانت نفرتيتي تجلس في حديقة القصر حينما أتاها رسول من القصر الملكي ليبلغها أسوأ خبر قد يسقط على قلبها، مرر الرسول على مسامعها ألمًا جديدًا شطر قلبها نصفين، فنزف دون دماء، حين قال لها:

إن حبيبها وسيدها وفرعون قلبها إخناتون قد مات وسبقها إلى العالم الآخر.

مارست الذاكرة معها القهر وفرضت عليها الألم، وبرغم الإعصار الدائر في حلقها، إلّا أنها التزمت الصمت، بكت نفرتيتي كما لم تبك من قبل، ناحت روحها دون صوت، أصدر قلبها فرمان الحزن إلا أن عقلها رفض الانصياع .

استعادت قدرتها على النهوض سريعًا، لملمت شتات قلبها وروحها، استحضرت القوة الملكية ورباطة الجأش، عزمت على ألا تدع طامعًا يعتلي عرش مصر.

أمرت نفرتيتي أن يأتوها بتوت، فقد آن الأوان أن تتحدث الملكة مع صبيها حديثًا ناضجًا عن مستقبله والذي هو نفسه_ مستقبل مصر.

=هل أرسلت في طلبي يا أماه؟

_ نعم يا توت، اجلس يا صغيري هنا بجواري أريد أن أتحدث معك .

جلس توت بجوار نفرتيتي ونظر إليها بعطف شديد، ثم قال:

= بلغني ما حدث للفرعون يا أمي، هوني على نفسك فأنا إلى جوارك لا تخشي شيئًا.

وكأن الصبي قال كل شيء، ابتسمت له نفرتيتي ابتسامة حزينة، ملؤها دموع حبيسة القوة والكبرياء، مسحت بيدها على شعر توت البني، وضعت يدها أسفل ذقنه ورفعت وجهه برفق حتى التقت أعينهما، ثم قالت:

_منذ مدة وأبوك ليس بحال جيد يا توت، وقد جاء موعده مع العالم الآخر.

= كيف مات أبي يا أماه؟

_ قد بعث له آتون ليكون إلى جواره يا بني فهو يحبه كثيرًا.

لا بأس مما قالته نفرتيتي فهي ذاتها لا تعلم كيف مات إخناتون .

_ والآن يا توت علينا أن نتحدث في أمر هام، وعليك يا بني أن تعي جيدًا ما سأقوله .

= أنا منصت يا أماه، تحدثي أنا معك وكلي آذان صاغية.

_ يومًا ما يا توت ستصبح فرعون مصر، هذا قدرك يا صغيري وأنت لم تكمل تدريبك بعد لتكون فرعونا، ما زال ينقصك الكثير من الخبرة.

= ولم لا تكونين أنت الفرعون يا أماه حتى يأتي يوم وأكون جاهزًا لهذا المنصب؟

_ من غير الجائز يا توت لامرأة أن تعتلي عرش مصر بمفردها، ولكني سأجد سبيلًا لأتولى الحكم إلى جوارك حتى تكمل أنت تدريبك وتصبح مستعدًا للجلوس على عرش مصر، عليك أن تتعلم جيدًا كيف تصبح حكيمًا في تصرفاتك وقراراتك وأن تكون -أيضًا- مليئًا بالحب والرأفة تجاه شعب مصر، قدرك أن تكون فرعون مصر يا توت، ولابد أن تكون فرعونًا عظيمًا.

ازدادت حيرة توت وشعر أن الأمر أكبر منه، وكأنه قزم ترك وسط غابة من النخيل وعليه جنيها.

قال توت بصوت يملؤه القلق والخوف :

= وماذا عليَّ أن أفعل يا أمي.. دليني؟

_ سنجلس على عرش مصر أنا وأنت جنبًا إلى جنب. سنحكم مصر سويًا يا توت في البداية، أتخذُ أنا القرارات وعليك التعلم، سنواجه أمورًا

كثيرة وقد تكون عصيبة، حتى تستطيع أنت اتخاذ قرارت حكيمة ووقتها....

= ووقتها سأصبح أنا فرعون مصر، أليس كذلك؟

_نعم يا بني، وأنا واثقة من أنك ستصبح فرعونًا عظيمًا لن يفارق ذاكرة شعبه إلى الأبد.

بات توت ليلته يقظًا، كاد التفكير أن يعصف برأسه، فقد دارت حرب ضارية من الأفكار بداخل عقله، طُحنت أعصابه ما بين حزنه على أبيه وبين تلك المسئولية الكبيرة التي ألقتها الملكة على عاتقه وبين شعوره بأنه أصبح تقريبًا فرعون البلاد، وعليه أن يتصرف على هذا الأساس رغم صغر سنه.

ولكن تفكيره في عنخ كان ليطمئنه بعض الشيء، فهو يعلم أنها ستظل بجانبه ولن تبرح مكانها كأخت وصديقة يلقي عليها همومه، ولو أنه كان يتمناها أكثر من ذلك.

*****

دلف الكاهن (آي) إلى غرفة المقابلة بقصر نفرتيتي، بعدما أعطت له الإذن بالدخول. دخل مطأطأ الرأس احترامًا لوجوده في حضرة ملكة مصر، أو ربما؛ حتى لا تتلاقى أعينهما وينفضح ما في عينيه للمرة الثانية.

_ هات ما عندك يا آي. ماذا أتى بك إلى هنا؟

= مولاتي.. كما تعلمين أن سيدي الفرعون الآن يجوب العالم الآخر وأن مصر لابد لها من حاكم قوي يسيطر على الأوضاع ولا نستطيع التأخير في اتخاذ هذا القرار أكثر من ذلك، فماذا قررت يا مولاتي بخصوص حكم مصر؟ هل لديك من رؤية في ذلك؟

_ هل لديك أنت رؤية مختلفة يا آي؟

= مختلفة عن ماذا يا مولاتي؟

_ أهناك وريث آخر لعرش إخناتون لا أعلمه أنا؟

= عفوًا ولكني لا أفهم ما تقصدين.

_ أقصد توت ابن إخناتون والوريث الوحيد لعرش أبيه.

= لكن يا مولاتي سيدي توت لم يزل.....

_ أعلم أنه لم يزل صغيرًا، ولم يكمل تدريبه على كيفية الحكم بعد، ولكني سأكون بجانبه.

= أنت؟ أنت يا مولاتي ستحكمين؟

نعم أنا وتوت وسأكون بجانبه باستمرار على عرش مصر، وسأكون أنا من يتخذ القرارات، وسأكون أنا الفرعون حتى يستطيع توت الاعتماد على نفسه.

= ولكن يا مولاتي.....

_ ولكن يفضل أن تتولى أنت الحكم بصفتك وزيرًا وكاهنًا أعظم، وتعرف جيدًا كيف تدار بلد كمصر..... أليس كذلك؟

= القرار لك يا مولاتي وعلينا التنفيذ.

_وأنا قد أبلغتك بقراري، ومن اليوم عليك اتخاذ كل ما يلزم لتنفيذ ما قلت، تستطيع الانصراف الآن .

استشاط (آي) غضبًا ونفرت عروقه وتبدل لون عينية بلون الدم. نظر لنفرتيتي بغضب شديد يحاول إخفائه، فقد أجهضت حلم عمره في دقائق معدودة. ألا إنها ردت بابتسامة ماكرة جعلت نظرته كسهم يرتد في قلبه ليرديه قتيل الخيبة والخسران.

*****

اعتلت نفرتيتي عرش مصر بجانب توت عنخ آمون، كانت له بمثابة عصاة يرتكز عليها كلما مال، ويعاقب بها كلما عجز، ويخط بها الخطط على أرض مصر كلما أراد.كانت نفرتيتي خير سند وخير معلم لتوت.

مرت أعوام قليلة استطاعت خلالها نفرتيتي أن تنهض بمكانة مصر والتي كانت قد تراجعت في عهد إخناتون، استطاعت أن تغرس في شخصية توت من الحكمة والعظمة ما يكفي لأن يكون فرعونًا لبلد كمصر

كانت تستشعر المؤامرات المستمرة في القصر، وكانت هي لها بمثابة حائط سد منيع.

كانت الشمس تكسو كل موضع في حديقة القصر، ونفرتيتي تجلس متكئة على أريكة خاصة بها يظلها ظل نخلة صغيرة، حين أتاها توت ليلقي عليها تحية الصباح، وقف أمامها وقد أصابه القلق، فقد كان وجه نفرتيتي الجميل منقبضًا، ولم يكن ليخفى عليه أنها تتألم، رغم كل محاولاتها للتظاهر بغير ذلك.

=ماذا بك يا أماه؟

اعتدلت نفرتيتي في جلستها بتمهل وهي تتأوه، وقد بدت واضحة عليها علامات الألم.

_ لن أخفي عليك يا بني، فأنا أحتضر.

لم يكن بسهل عليه تقبل مثل ذلك الخبر، فهو لا يعلم ما معنى الحياة بدونها، وكيف سيقف بمفرده داخل حلبة صراع دون درع، وأين سيسند رأسه حينما تعصف به الحياة.

= لا. لا. لا تقولي ذلك يا أماه أنت بخير هو مجرد ألم عابر ستكونين بخير حال صدقيني.

ضغطت نفرتيتي على شفتيها من الألم ثم قالت:

_ اسمعني يا توت.. أيًا كان سبب ألمي هل سممت أو أن ما بي مرض.. فأنا أحتضر، وقد أمرت بتجهيز مدفني، فوقت الرحيل قد آن يا بني.

اغرورقت عينا توت بالدموع ولكنه جاهد ألا تسقط، حاول إخراج حروفه الحبيسة في حنجرته.

= أماه .. أصدقيني القول .. هل....

_ هل ماذا يا توت؟

= هل لآي يد فيما أصابك؟

_حتى وإن كان سببًا، فأنا لا أخشاه، أما أنت يا توت.... فعليك أن تكون حذرًا، (آي) ليس بالإنسان المخلص يا توت!

= هل يطمع في أن يصبح فرعون مصر يا أماه؟

_ نعم يا توت نعم، وليس وحده من يطمع في ذلك، ويحلم باعتلاء عرش مصر.

= ولكنه من عامة الشعب يا أماه .

_أنت أيضًا يا بني والدتك من العوام، أي أنك لست من سلالة ملكية خالصة، وهذا ما أود أن أحدثك فيه .

= ماذا يا أماه إني أسمعك، ما الأمر؟

_ تعلم أن الوحيدة الآن التي تمتلك دمًا ملكيًا خالصًا هي أختك (عنخ سن با أتن) وأنها لن تستطيع أن تحكم مصر بمفردها، وأنت أيضًا كي تستطيع أن تحكم مصر من بعدي، لابد أن تتزوج سليلة عائلة ملكية، فعليك يا بني أن تتزوج من أختك عنخ كي تحافظ على سلالتنا الملكية خالصة. وإني لأعلم يا توت مدى الترابط بينكما وهذا ما أراح قلبي، قبل أن أترككما وأذهب بعيدًا.

تأوهت نفرتيتي ثانيةً وحاولت أن تستريح على الأريكة، وقالت لتوت:

_ اتركني بمفردي الآن يابني.. اتركني كي أستعد للقاء أبيك.

*****

كان على توت أن يسرع في زواجه من عنخ حتى لا يترك أية ثغرات للكهنة أو يدع مجالًا لغيره يعبر عن طريقه للعرش.

كان يومًا حافلًا بالكثير من المتناقضات، ففي نفس اليوم الذي توضع فيه نفرتيتي في قبرها، يحمل هو على عاتقه حكم مصر بمفرده، وهو أيضًا نفس اليوم الذي طالما حلم به لتكتمل سعادته بزواجه من عنخ. إلا أن حزنه على أمه قد طغى على سعادة انتظرها عمرًا بأكمله .

مر يوم زواج توت وعنخ خاليًا من أية مراسم أو مظاهر عرس، لم يحدث شيء مختلف سوى نقل أغراض عنخ من غرفتها إلى غرفة توت، حتى الشعائر الدينية الخاصة بزواجهما أقيمت بهدوء تام، كم انتظرا هذا اليوم واشتاقا إليه، وكم حلمت عنخ بما ستلبسه وكيف سيكون شكل حليها في هذا اليوم!

ولكن أبى آتون أن تكتمل فرحتهما. أو ربما عوضهما عن أمهما ببعضهما البعض . كانت تعصف الأفكار برأس توت ويتساءل...

=ماذا بعد اليوم؟ هل سأتحمل ما سيواجهني من مشقة الحياة والحكم بمفردي؟ هل تركت لي أمي جزءًا منها قبل أن ترحل؟ هل كانت تعلم أني سأحتاج لعنخ لتؤازرني؟ آآآآآآآآآآآآآآآآه يا أماه. كم أحبك! ولكم هو منشطر قلبي على فراقك!.

في حجرة توت والتي أصبحت حجرة عنخ أيضًا، نظر لها نظرة حائرةً ما بين حب واشتياق ولوعة:

= اليوم أهدتني أمي قطعة منها يا عنخ، أعطتني كتف أتكيء عليه من متاعب الحياة، أعطتني حبًا لطالما حلمت أن أمتلكه، أعطتني إياك يا حبيبة العمر، فكم تمنيت هذا اليوم، ولكم رأيت اكتمال البدر في عينيك يا حبيبتي.

نهضت عنخ واتجهت إليه، اقتربت منه وضمته إلى صدرها، غاص في شذى زيوتها العطرية و عبيرها الذي يفوح من جسدها، كان يستشعر حرارة أنفاسها وخفقات قلبها، ويسمعها حروفًا تنطق باسمه وبعشقه.

= لقد أصبحنا وحيدين في هذا العالم يا عنخ، يتيمين بدون أب أو أم توجهنا.

_ أنت الآن فرعون مصر يا توت ولا أحد يستطيع الآن أن يقف أمامك، لا تقلق يا حبيبي فأنت قادر على المرور فوق كل تلك الأزمات.

= سأحاول يا عنخ، سأحاول.

كانت إجابته هامسة يثقلها شعور يجسم على صدره

= أنا حقًا قد أصبحت فرعون مصر، ولكن هل تعتقدين أن آي سيستسلم؟

*****

كان آي يجلس في حديقة القصر بعد الانتهاء من مراسم جنازة نفرتيتي الهائلة والتي لم ير مثلها من قبل، ومراسم زواج عنخ وتوت، كان يجلس على أريكة نفرتيتي الخاصة، يستحضر روحها ويتذكر رائحة عطرها، ويشعر بأنفاسها، فقد أسرف في الشراب حتى لم يعد يرى، فقدَ اليوم ملكته ومالكة قلبه، كان يحدث نفسه قائلًا:

- لقد غابت شمسي اليوم، ولم تترك لي سوى عقبة في طريقي، تركت لي ذلك الصبي العنيد.

كان يشعر (آي) بغصة في حلقه، لا يعلم هل هي لفقد نفريتي، أم لاعتلاء توت عرش مصر منفردًا؟ طالت ليلته وتزاحمت الأفكار في رأسه، حتى غفى على الأريكة ولم يشعر.

*****

بات العاشقان لأول مرة في فراش واحد، وقد أنسته عنخ ما رآه اليوم من أوجاع. أصبحا اليوم زوجين، وأصبح توت فرعونًا منفردًا على عرش مصر، وأصبحت عنخ زوجة وصديقة لفرعون مصر، وسندًا له.

بعد عدة أيام..

أخذ توت حبيبته عنخ بالعجلة الحربية في رحلة كما كان يتمنى، كان يود أن يزيح عنها حزن فراق أمها، ركبا عجلته الحربية وسارا بعيدًا دون حرس. نظر توت لعنخ ليجدها واجمة شاردة الذهن..

= ماذا بك يا حبيبتي؟ لا تشردي بعيدًا عني كي لا أشعر بالوحدة

نظرت له بأسى وقالت:

_ عدني يا توت أن كلانا سيعتني بالآخر ويهتم لأمره ويحميه من المتربصين.

= أعدك يا حبيبتي، فروحي فدى راحتك، لا تقلقي فإن ما قد يصيبك بحزن يومًا فسيشطر قلبي نصفين فلا تقلقي، أعدك أني سأسهر على راحتك وحمايتك.

ابتسمت له عنخ ابتسامة رضى وقالت:

_ أنا أثق بك وأعلم أنك عظيم يا توت. من يستطيع أن يحكم مصر بأكملها ويقود جيوشها ويقبر أعداءها، لا يمكن أن أشعر في جواره بخوف، فليباركك آمون، ولتكن أعظم الفراعين.

ذات صباح أفاقت عنخ من نومها مبكرًا كعادتها، ظلت في فراشها بجوار حبيبها، تداعبه برفق كي يستفيق. تتجول عيناها في بستان ملامحه التي تعشقها، ثبتت ذقنها على صدره والذي كانت تشعر بدفء أحضانه، همست بصوتها الرقيق...

_ توت...! توت...!

= نعم يا حبيبة توت. (قال توت بلسان ثقيل فلم يكن قد استفاق بعد)

_ لقد تأخرت دورتي الشهرية يا توت.

فتح توت عينيه ولكنه حاول أن يتظاهر بالثبات الواجب أن يكون عليه فرعون.

= ربما تأتي في أي وقت، لا تدعي الأمر يشغلك يا عنخ.

علا صوتها بعض الشيء في استنكار يمتزج بالدلال رافعة ذقنها من فوق صدره ليواجه وجهها وجهه.

_ لا يا توت، لقد تأخرت ثلاثة أشهر.

نظر لها توت واعتدل في جلسته ثم جذبها إلى صدره ثانيةً .

= ومعنى ذلك؟

_ لا تكن مستفزًا يا توت، سنرزق بطفل.

ضحك توت وعلا صوت ضحكته، فقد اضطر للتخلي عن ثباته الملكي، فلا داعي له الآن. ضمها بقوة إليه كادت أن تعتصرها، تأوهت بدلال وقالت:

_ مهلًا مهلًا فقبضتك تؤلم ضلوعي، سيتأذى ولي العهد.

= آآآآآه يا حبيبتي ، سنرزق بولي عهد، سنرزق بفرعون صغير .

كانت السعادة تسري في أوصاله وكأن ما قالته كان ترياق لذة يركض في عروقه حتى وصل إلى قلبه فانتشى.

_ ماذا سنسميه يا توت؟

= إن أتت أنثى سأسميها نفرتيتي.

_وإن أتى صبي؟

ضحك توت وقال:

= سأسميه نفرتيتي أيضًا.

كان ينتفض جسد عنخ من السعادة كانت تسري فيه كسريان ماء النيل علي صحراء مصر الجدباء. تخلت عنخ عن عقلها المعروفة به للحظة وصرخت بصوت عال..

_سنرزق بطفل ...سنرزق بولي عهد.

*****

بعد خمسة أشهر

وكأن عنخ قد كتب عليها الفراق وأبى الخريف أن يمهل ثمرتها حتى تنضج، كما كان قدر توت أن يعيش الألم دون فراق.

تتمدد الآن عنخ فوق فراشها تعاني آلام المخاض في شهرها الثامن، واقف توت بجانبها ممسكًا يدها بكلتا يديه ظنًا منه أنه يقاسمها الألم، ينظر إلى وجهها الذي تعتلي ملامحه الجميلة علامات الألم تارةً، وينظر إلى وجه الطبيب كي يستشف منه ما يجري تارةً، وينظر إلى جسد حبيبته الذي يتلوى أمامه من الألم تارةً أخرى.

وصل الضيف أخيرًا بعد كثير من الألم، يمسكه الطبيب بين يديه ولكن يعلو وجهه الحزن والشحوب، فقد وضعت عنخ طفلها مفارقًا للحياة. هذا ما كان متوقعًا، فزواج أخوين لأب مثل إخناتون، لابد أن يسفر عن جنين مشوه.

تماسكت عنخ قدر استطاعتها، فلطالما كانت فتاة قوية، صلبة ذات جلد مثل أمها. تساءلت في وهن وحزن، موجهةً سؤالها إلى الطبيب:

_ ولد أم بنت؟

=لم يعد الأمر هامًا يا مولاتي.

غضب توت وعلا صوته استنكارًا لمثل هذه الإهانة لمحبوبته.

= ولد أم بنت؟ أجب.

أجاب الطبيب مطأطأً رأسه.

_ كانت بنتًا يا مولاي.

أخذت عنخ مولودتها، نظرت إليها وتركت عيونها تذرف دموعها، داعبت وجهها اللين المفارق للحياة بأصابعها وملست على شعرها الأسود القصير بيدها، ضمتها إلى صدرها في حسرة، وقالت لها بحروف ملتهبة :

_ كم أحبك يا نفرتيتي، انتظريني يا صغيرتي في العالم الآخر.

أمسك توت دموعه وحال دون نزولها، أمر بصوت مرتفع أجش أن يأتوه بمسؤول التحنيط، ليأخذ جزءًا منه قد سبقه لعالم الغرب.

*****

رغم المهام الصعبة التي كانت ملقاةً على عاتق توت عنخ آمون ومسئولية دولة كبيرة كمصر إلا أنه لم يترك عنخ تقع فريسة حزنها، فدائمًا كان لها بمثابة طوق النجاة من بحر الألم فما أن كانت تنفرد بنفسها، حتى كانت تحوطها وحوش الذكرى تنهش في أعصابها وتفرض عليها مشاهد كثيرة كانت تحاول التخلص منها،

حتى تسقط تاج الجلد مستسلمة وتقول لها:

_ حسنًا أيتها الذاكرة لك ما شئت.

إلا أن كل ذلك كان يتبدد بمجرد رؤيتها توت دالفًا من باب غرفته، أو يفتح عينيه لتلاقي عينيها في الصباح.

كان توت دائم الاهتمام بها، كان كثيرًا ما يفاجئها بهدايا تحبها وتسعدها، أو يذهبان معًا إلى مكان كان يجمعهما معًا في طفولتهما مستحضرين رنات ضحكاتهما الطفولية، أو يقص عليها مواقف طريفة تنسيها ما بها من أوجاع،

قد كان لها توت نعم الرفيق ونعم الحبيب.

*****

مرت الأيام والشهور ثقيلة إلا من بعض أوقات كان يترافق فيها العاشقان، كان كل منهما يهون ثقل الأيام على الآخر.

وجاء يوم كانت تجلس عنخ في غرفتها تنتظر الفرعون أن يأتيها بعدما يفرغ من مهامه. تأخر توت في تلك الليلة، كان توتر عنخ يتصاعد مع كل دقيقة تمر دون عودته، تجوب عنخ غرفتها ذهابًا وإيابًا، حتى فاض بها من الانتظار أقبلت على باب الغرفة كي تخرج منها باحثةً عنه فقد وصل توترها حده الأقصى. فما أن أمسكت بمقبض الباب حتى وجدته يفتحه من الخارج

فاصطدمت بصدره فضمها دون أن يتحدث.

سكن العاشقان ولم ينطق أحدهما، بل تلاشى كل منهما في أنفاس الآخر، لم تكن تشعر عنخ بأمان إلا على صدر توت وأذنها معلقة بنبضات قلبه وكأنها ترانيم عشق تتهادى إليها لتغلفها بشرنقة من حرير ملؤها الحب.

جلسا سويًا بعدما بدل الفرعون ملابسه، لم يكن يخفى على توت كم التوتر الذي بدى على ملامح عنخ، فبادرها بسؤاله:

=ماذا بك يا حبيبتي، مالي أرى وجهك يعلوه القلق ؟

_ هناك جنين يسكن أحشائي يا توت.

قالتها عنخ وهي تحاول ألا تتلاقى نظراتهما، لم تكن كلاماتها تسكنها الفرحة كأول مرة، بل كان ملؤها خوف يصل حد الفزع.

استقبل أيضًا توت الخبر بكثير من القلق ومسحة حزن، فهو يعلم جيدًا أنه تبعًا لعلم الوراثة يستحيل لهما إنجاب طفل سليم، إلا أنه جاهد ألا يظهر قلقه لها، بل رسم السعادة على وجهه واعتلت ملامحه ابتسامة كاذبة،

قام توت وضمها إليه وقال:

= حبيبتي ... نحن ننتظره، ننتظر ولي عهد جديد

بات توت قلقًا على عنخ وما قد يصيبها من حملها الجديد، بات يفكر كيف يحميها وكيف تكون بخير حال، وكيف يوفر لها ما يمنع تكرار ما حدث!!

ظل ليلته ساهرًا حتى أبلغه شعاع الشمس بأن يومًا جديدًا قد بدأ،

خرج توت من غرفته بهدوء شديد حتى لا يزعجها، توجه إلى غرفة العرش وأمر بإحضار الطبيب الملكي، وكافة الخدم.

حضر الجميع واصطفوا صفين أمامه مطأطئين الرأس، وقف توت منتصبًا في هيئة فرعون مصري عظيم، واضعًا يديه خلف ظهره، سار بينهم في حزم شديد، معطيًا أوامره بتلبية كل ما تأمر به الملكة وتوفير كل سبل الراحة، وألا تغيب أعينهم عنها ولو للحظة، استدار توت عنخ آمون موجهًا حديثه للطبيب،

= وأنت أيها الطبيب، لتكن مرافقًا مستمرًا لها ولا تتركها إلا وقت نومها.

استرسل توت معليا صوته كي يصل لأسماع الجميع...

= ولن أتهاون في الإطاحة برأس من يتقاعس عن تنفيذ أوامري هذه.

نطق الجميع:

_ السمع والطاعة يا مولاي.

*****

مرت أشهر قليلة...

كان يجلس الملك توت عنخ آمون مع الوزير (آي) في قاعته الملكية يتبادلان الحديث في أمور البلاد، وفي رغبة توت في السماح بعودة عبادة أمون وآلهة طيبة مرة أخرى لمن أراد، حتى يرفع عنهم سخط الآلهة، حين دلفت عنخ فجأة ممسكةً بطنها بكلتا يديها، كانت قد بدأت تشعر بشيء غريب لم تعتده أصابها بالفزع وهي في شهرها الخامس، فقد توقفت حركة الجنين داخل أحشائها، وتشعر بألم شديد نادت بصوت متألم :

_توت....توت، اسمح لي أريدك .

ما إن سمع الفرعون نداء عنخ حتى التفت إلى مدخل القاعة مهرولًا إليها، متخليًا عن كل القواعد الملكية، أي قواعد تلك التي تجبره على الحفاظ على ثباته وحبيبته تستنجد به!!

= ماذا أصابك يا حبيبتي ؟ ما الأمر؟

_ لا يتحرك الطفل يا توت .. لا يتحرك، وأنا أتألم .

= لا تقلقي هو فقط نائم.

_ لا يا توت، لم يتحرك منذ الأمس لقد مات يا توت لقد مات الطفل.

تهاوى جسد عنخ على الأرض في حالة شبه إغماء

صاح الوزير آي: احضروا الطبيب.

جثى توت على ركبتيه بجوارها قائلًا:

= اصمدي يا عنخ رجاءًا سيأتي فورًا الطبيب ونطمئن.

قالت عنخ لاهثةً في وهن،

_ إني أضع مولودي يا توت، أضعه في شهره الخامس، وهذا لا يعني إلا شيئًا واحدًا..

قاطعها توت:

= لا اصمتي ستكونين ويكون هو بخير .

_ أنا أخجل من نفسي، أنا لا أستحق أن اكون ملكتك، أنا غير قادرة على إنجاب وريث للعرش، أنا عاجزة.

= مليكتي أنا لا أريد سواك، لا تقولي ذلك ولا تفكري في الأمر.

كان قد حضر الطبيب، فأشار آي إلى أحد الخدم أن يحمل الملكة إلى غرفتها، فأقصاه الفرعون جانبًا وحملها هو وهو يضمها إلى صدره، كما فعل في طفولتهما، ذهب بها إلى غرفتها، وضعها برفق في فراشها وهي تتلوى ألمًا، همس لها بصوت خفيض لا يسمعه سواها:

= لا أريد سواك.. أفهمت؟

نظرت عنخ في عيني توت نظرة اعتذار عن عجزها ودموعها تجري كجريان النيل وقت فيضانه، وقالت:

_ تزوج يا توت، فأنا لا أصلح للإنجاب .

بهت توت من حديثها، كان قد سمع حديثها كل من الطبيب والوزير آي وحور محب.

نظر توت للطبيب وسأله:

= ما الأمر؟

_ ولادة مبكرة لجنين ميت يا مولاي.

ورغم أنه كان يعلم، إلا أن وقع كلماته على قلبه كانت كوقع سقوط جبل فوق رأس طفل صغير. خرج توت خارج الغرفة وترك معها الطبيب كي لا يزيد إيلامها بحزن عينيه، تبعه إلى الخارج كل من الوزير آي وحور محب. وقفوا في الردهة أمام باب غرفتها، وجه له الوزير آي الحديث قائلًا :

- ما قالته مولاتي عنخ، هو عين الصواب يا مولاي، هي ترى الأمور بشكل أفضل .

نظر له توت بغضب شديد، كادت عيناه أن تخرجا من مكانهما، اقترب منه حتى كاد يلتصق وجهيهما وقال:

= كيف تجرؤ أن تتدخل في أمور الفرعون الخاصة؟ أنسيت نفسك يا آي؟ أنا فرعون مصر . أنا مولاك توت عنخ آمون.

تراجع آي خطوة للخلف مبتعدًا عن جحوظ عينيه المخيف وقال له:

_ عفوًا يا مولاي لم أقصد التدخل قط، ولكنها ليست أمورًا خاصةً، نحن نتحدث عن ولي عهد ووريث لعرش مصر، أنا فقط أوافق الملكة في الرأي، هي تريدك أن تتخذ زوجة أخرى تنجب لك ولي عهد، مجرد وعاء يا مولاي مجرد وعاء، فافعل ما نصحتك به.

= وهل تعلم أنت أين مصلحة مصر خير مني أنا يا آي؟

_ عفوًا يا مولاي تقبل اعتذاري ولكن أرجوك أن تعيد التفكير.

*****

نزع توت ملابسه عنه وارتدى ملابس فضفاضة خفيفة تقيه حر الصيف الجاف في مصر، أزال طلاء عينيه الأسود اللون والذي كان ممتدًا على ركني عينيه بشرطة طويلة إلى الجانب.

أخذ توت يفكر في كلام عنخ والوزير آي، كانت جملة واحدة يتردد صداها في عقل توت تأبى أن تصمت (ستكون مجرد وعاء يا مولاي)

ولكن توت لم يستطع أن يؤلم عنخ، لا، لا، لا يمكن أن أتسبب لها في حزن، ووجود امرأة أخرى في فراشي سيقتلها بلا رحمة حتى وإن كانت مجرد وعاء.

أنا أعلم أني أقطن قلبها كما تستوطن هي وريدي، كيف لي أن أقتحم قلعة غير قلعتها!! ولكن ماذا إن رفضت عرضها، فمن سيرث العرش!!

من سيحكم مصر من بعدي؟ من سيملك كل ما فنى أبي وأجدادي أرواحهم في بنائه؟ يااا آمون أعني!

أين الخلاص من حيرة تعصف بفؤادي وعقلي...!

*****

في اليوم التالي طلب الوزير آي مقابلة الملكة عنخ، فأجبرها فضولها عن سبب طلبه على أن تسمح له بالدخول.

_ هات ما عندك أيها الوزير، ماذا أتى بك إلى هنا؟

لم تكن عنخ تكن أي حب أو احترام للوزير آي، ولطالما كانت كل ردودها وتعاملاتها معه فظة، وشعورها هذا لم يكن ليخفى عن آي.

= اسمحي لي يا مولاتي أن أتحدث إليك حوارًا خاصًا، وأن يكون ذلك سرًا بيننا.

ازداد فضول عنخ، أي سر هذا الذي سيكون بيني وبين آي، ذلك البغيض المتعجرف..!

_تكلم.

= مولاتي، كما تعلمين أن مصر بلد عظيم وقد زاد قدرها أكثر بعد

تولي مولاي الفرعون توت عنخ آمون زمام أمورها، وتعلمين أيضًا أنه ليس له أخوة ذكور، وأن يا مولاتي أي فرعون لابد أن يكون له وريث لعرشه في حياته حتى لا تحدث اضطرابات في البلاد بعد عمر طويل، أنا أود فقط يا مولاتي أن أقول....

_ فهمت ..تريد أن يتزوج الفرعون من امرأة أخرى لمصلحة مصر .

= أعذريني يا مولاتي ولكن صالح البلاد أهم من مشاعرك ومشاعر الفرعون الجياشة، ومهما كانت من سيتزوجها فهي فقط ستكون وعاء ليس أكثر لإنجاب وريث للعرش، وستبقين أنت محبوبته الأولى والأخيرة.

كانت خفقات قلب عنخ تتعالى وتزداد سرعتها من شدة التوتر والغضب، كاد قلبها ينخلع ويخرج من صدرها من شدة الألم، فما يتفوه به هذا البغيض الآن ما هو إلا إثبات وبرهان على عجزها كملكة وزوجة فرعون، فهي ليست قادرة على إنجاب وريث لعرش حبيبها. وهنا.. سيستبدلها بمن هي أصلح.

ولكن عنخ دائمًا قوية ولا يستطيع أحد أن يقرأ ما بداخلها إلا ما أرادت هي فقط إظهاره. تمالكت عنخ أعصابها وسألته في هدوء كاذب، يشوبه بعض التوتر أو ربما الألم:

_ وماذا علي أن أفعل يا آي وأنت تعلم أني قد عرضت عليه أن يتزوج من أخرى؟ أم تريدني أيضًا أن أزوجه بنفسي؟

كان قلبها يحترق ولكن يغلب على ظاهرها الهدوء والسلام.

= لا يا مولاتي لم أطلب أو أقصد ذلك، فأنا أعلم كم هذا مؤلم بالنسبة لك، ولكني أطلب منك السماح لي بأن أتولى أمر زواج الفرعون.

خانتها ملامحها في تلك اللحظة، سمحت للحزن أن يتسلل إليها حتى وصل إلى عينيها وفتح بوابات الدموع الحبيسة، سقطت عبرة حزينة يتيمة، ولكنها سرعان ما مسحتها بظهر يدها، ورفعت وجهها مقابلة لآي وقالت :

_افعل ما تراه صوابًا وفي صالح مصر يا آي، قد أذنت لك.

*****

تعانقت الشمس مع نهر النيل وغاصت في أحضانه، وإذا بالليل يسدل ستائره على مصر، فرغ الفرعون توت عنخ آمون لتوه من بعض المناقشات مع الكهنة عن أمور مصر.

ذهب ليطمئن على محبوبته، وليستمد من عشقها قوته، شعرت عنخ بباب غرفتها يفتح، فتظاهرت بالنوم على الفور، لم تكن تقوى على مواجهته في تلك الليلة، كان ليظهر عليها الأسى ويتخذ الحزن من ملامحها مرعاه.

وصل توت إلى فراشها وظنها قد نامت، ناداها بصوت خفيض:

= حبيبتي، عنخ.

لم تجبه.

طبع قبلة رقيقة على جبينها، وذهب لينام في غرفة أخرى كي لا يزعجها. وقف توت خارج حجرتها لبرهة معطيًا ظهره للباب بعدما أغلقه، وحدث نفسه حائرًا:

- كيف أقسو على جزء مني ! كيف لي أن أقتلها وهي على قيد الحياة ! أين السبيل إلى الراحة من عذاب قلبي وقلبها !؟

توجه توت إلى الغرفة الواقعة في نهاية الردهة ليكمل تفكيره فيما أصابه بشبه انهيار، خلع ثيابه إلا من تنورة قصيرة فقد كان الجو في تلك الليلة شديد الحرارة، جلس على مقعد ظهره لباب الغرفة يطل من نافذة عريضة على بحيرة القصر، ثبت عينيه على قارب صغير في البحيرة كان يترنح على أمواج البحيرة الخفيفة المتلاشية، والتي يصنعها هواء الصحراء الحار المحمل بالرمال الناعمة.

غرق توت في تفكير عميق حتى أن صورة القارب قد تلاشت من أمام عينيه، وهما ما زالت مفتوحتين.

كانت الذاكرة تتلاعب بأعصابه وتمرر أمام عينيه صوره نفرتيتي والحزن الذي لم يفارقها بسبب زواج أبيه من أمه، ويفكر كيف يفعل في عنخ كما فعل أبوه في نفرتيتي! وقع توت في فخ بين وحشين لم يعرفا للرحمة سبيلًا

وقع ما بين حب عمره ورفيقة قلبه وخوفه على حبيبته عنخ من الألم، وبين الفزع من انقطاع اسمه واسم أجداده وسلالته إن لم ينجب وريثًا لعرش مصر من صلبه.

قطع تفكيره صوت ناعم كصوت زقزقة العصافير يناديه:

_ مولاي.

انتبه توت ونظر خلفه في بطء، وقع نظره على فتاة لا يضاهي جمالها جمالًا آخر، تمتلك من مقومات الحسن ما يصعب وصفه، ومن المفاتن ما تمتلكه الحوريات، عمرها لا يتجاوز السادسة عشر عامًا، ترتدي ثوبًا شفافًا يزيد من روعة مفاتنها، كانت صغيرة متأججة الجمال، جسدها تنطق كل مفاتنها بالنضوج الطازج تمسك الفتاة بثوبها الشفاف وتزيحه عن كتفيها، توت يراقبه وهو ينزلق عن خصرها ويفترش الأرض تحت قدميها، كان توت ينظر إليها في تأمل متعقل، يتجول بنظره أنحاء جسدها وكأنه فارس يجوب صحراء ملكه، صعودًا وهبوطًا على مرتفعات ومنخفضات يصعد جبالًا ويهبط بوديان بشرية ناعمة.

بهت توت عند رؤية تلك الحورية البشرية، كانت علامات الأنوثة تبدو واضحة على جسدها، ولكنه استدار دون ان يبدي أي اهتمام.

ثم سأل:

= من أنت ؟ وما الذي أتى بك إلى هنا؟ وكيف دخلت دون إذن مني؟

_ معذرة مولاي، قد أمرني الوزير آي أن آتي إلى هنا وأن....

قاطعها قائلًا دون أن يلتفت :

= وأن تقضي ليلتك هنا في فراش الفرعون، أليس كذلك؟ وعاء..؟

صمتت الفتاة وانحنت تلتقط ثوبها الملقى على الأرض وضعته على جسدها من الأمام، أملًا منها أن تغطيه وتلملم ما تبعثر من أعصابها خجلًا من الفرعون، شعر الفرعون بقسوته على تلك الفتاة وهي ما لها من ذنب، انتصب واقفًا واستدار لها وقال:

= لا بأس لا بأس هوني على نفسك فلا شيء يدعو للقلق هنا

= ما اسمك؟

_ تويا (ردت هامسة)

أقبل توت يقترب منها، ولكنه توقف فجأة في مكانه، أغمض عينيه فقد حضرت دون سابق إنذار صورة مفاجئة لعنخ سن با أتن في مخيلته، خفق قلبه بشدة، وفكر..

ترى ماذا تفعل الأن! ترى ما شعورها الآن وماذا ستقول إن علمت ما أفعل ! ياااا آآآآآمون أين الخلاص؟

أحكم توت غلق عينيه طاردًا كل الأفكار، باحثًا عن خلاص عقله، وجد خلاصه في الغرق الليلة في بحور تلك الفتاة التي نضجت ثمار جسدها على عودها وها قد حان وقت قطافها دون تفكير فحدث ما كانت تخشاه عنخ، أقبل عليها توت وطبع على شفتيها قبلة ذاب معها في أنفاس تويا العذبة الندية.

مازالت عنخ مستيقظة فقد جافاها النوم، هي تعلم بوصول تويا إلى غرفة الفرعون، كانت عنخ في أقصى حالات غضبها وانهزامها وانكسارها، تجمع كل المتناقضات في تلك الليلة، وكلما تأخر خروج تويا من غرفة الفرعون، تأكد لها استسلامه أمام جمالها، تستشيط غضبًا أكثر فأكثر وتزداد انكسارًا، فما عادت تقوى حتى على التخيل .

كانت تصارع الصور التي تهجم على مخيلتها كغربان سود يفترسون قطعة لحم لا حول لها ولا قوة، تغمض عينيها حتى لا ترى تلك الصور، تضع يديها على آذانها حتى لا تسمع الآهات التي تخيلت أنها تصلها من غرفة حبيبها، كانت تراه معها مستمتعًا منتشيًا من شدة السعادة.

وإلا.. لماذا لم ينهرها ويخرجها من غرفته على الفور !

نعم نعم إنه يستمتع الآن، إنه منتشيًا مع غيري، هناك غيري في أحضان حبيبي أنا، انتفضت واقفةً واتجهت نحو باب غرفتها، سأذهب وأدخل عليهما وأعرفه أني أعلم بخيانته . ولكن...

أي خيانة تلك؟ إنها بموافقتي، بل بطلب مني. إنه فرعون، وهذا أقل حقوقه.

لم تقو عنخ على الانتظار أكثر من ذلك خرجت من غرفتها وسارت في الردهة لتصل لغرفة توت، كانت تتمنى لو تنشب أظافرها في وجه تلك الفتاة حتى يسيل جمالها هذا دمًا ويذهب إلى الأبد، هي تعلم أنها لن تدخل غرفته، ولكن.. لم هي ذاهبة إلى هناك إذن؟ حتى هي لا تعلم.

ربما لتشعر بأنها قريبة منه ! ربما لتسمع هل هو سعيد أم لا!

أو.... ربما لأنها لا تقوى على الوقوف صامتة دون حراك.

فيالها من قاسية نار الغيرة الضارية بداخلها، تحرق كل ما بقي لها من أعصاب، لم تكن تعلم عنخ هل كان قلبها يدق، أم أنه يضرب رأسه في حائط صدرها !

وقفت أمام غرفة الفرعون نظرت إلى الباب وتركت دموعها تسيل علها تطفيء لهيب قلبها . فهي تعلم ما يحدث خلف هذا الباب، وضعت جبهتها على الباب في انكسار شديد، قالت بصوت لم يسمعه غيرها:

_ حبك يؤلمني يا توت وجرح روحي ينزف نبضات قلبي، أيها المستثنى من كل شيء، يا من لا أؤمن بحب إلا حبه، ولا بغيرة إلا عليه، أهانت عليك حبيبتك؟

ثم رفعت وجهها باكيةً وقالت:

- شكرًا لألم أهديتني إياه يا حبيب العمر.

*****

وصلت العلاقة بين توت وعنخ إلى أوج توترها من بعد تلك الليلة، ومع تأخر حمل تويا، تزايدت الضغوطات على أعصاب الفرعون .

تتزايد الضغوطات أكثر فأكثر كلما تلاقت عيناه مع عيني آي ورأى نظرات الشماتة الظاهرة والمغلفة كذبًا بالإخلاص، كثيرًا ما كان يؤلمه هذا التوتر الذي انتاب علاقته بعنخ، ونظرتها المستنكرة لما فعل طوال الوقت، والمؤنبة له على الدوام دون أن تنطق.

أما عن تويا، فكان توت يكاد أن يثق بأن آي تعمد اختيار تلك الفتاة لعلمه بعدم قدرتها على الإنجاب، كي يضعف من قدر توت أمام نفسه وأمام شعبه.

قد شن آي حربًا نفسيةً غير ظاهرة على توت، فهناك رجال لا يمكن قتلهم إلا من الداخل. ضاق توت ذرعًا بكل ما حوله ومن حوله،

خرج هائمًا على وجهه وأخذ عجلته الحربية، ذهب بها مسرعًا إلى الصحراء حيث الهواء الطلق، ظنًا منه أن الفضاء قد يشفي روحه المعذبة ويوقف نزفها المستمر.

يقود توت عجلته بسرعة قصوى، هو لم يشعر إلا بلطمات هواء شديد تضرب جسده، يتمنى لو تطفيء لهيب قلبه وأعصابه، لم ينتبه لتلك الحفرة العميقة والتي اصطدمت بحافتها عجلته الحربية وسقط جزء منها بداخلها، فارتمى توت على الأرض مصطدمًا بطرف عجلته فكسر فخذه،

ثم سقط على الأرض مغشيًا عليه.

بات توت ليلته في العراء لم يشعر به أحد، ومع ظهور أول شعاع للشمس وخروج العامة لأشغالهم رآه أحدهم وصاح:

=إنه الفرعون.. إنه الملك توت عنخ آمون.

*****

إنه اليوم الثالث من فقدان توت لوعيه إثر اصطدام رأسه بحجر على الأرض وقتما سقط، هو الآن في غرفته وعلى فراشه، لم تبرح مكانها بجواره عنخ ولو للحظة واحدة، كانت تحدثه ليلًا ونهارًا بأنها تعشقه، بأنها قد سامحته، بأنها تشتاق صوته، بأنها لا تقوى على العيش بدونه. على أمل أنه قد يسمعها ذات مرة فيطمئن قلبه.

كانت تتوسل إليه ألا يتركها فهي لا ترى الحياة إلا من خلال عينيه. مضت الساعات والليالي ثقيلة بالكاد تحملت فيها الصمود، تبحث في عالمها عن نافذة تخرج منها رأسها للتنفس، فلم تجد. قد كانت عينا فرعونها هي نافذتها الوحيدة، وهي الآن مغلقة ولا تعلم متى ستفتح لتشرق منها شمس نهارها وقمر ليلها.

وفي اليوم الرابع من غياب الفرعون عن الوعي، غفت عنخ لبضع دقائق من شدة الإرهاق وقلة النوم، نبتت حدائق سوداء تحت عينيها، وكانت ترفض بشدة أن تشاركها تويا في الاعتناء بحبيبها توت، فكم كانت تبغضها. وأثناء غفوتها وهي جالسة على مقعد بجوار فراشه، انتفضت على صوت واهن ينطق باسمها، نظرت لتجد توت قد فتح عينيه، كادت أن تحلق في سمائها من شدة الفرحة، أقبلت عليه تقبل جبينه وتهمس له:

_ حبيبي .. حبيبي أنت بخير، ستكون بخير يا توت .

نادت بصوت عال:

_ إئتوني بالطبيب.

حضر الطبيب مسرعًا إلى غرفة الفرعون، فحصه جيدًا ونظر للملكة المترقبة بلهفة ما سيقوله.

_ ها.. ما الأمر، أخبرني أيها الطبيب، هل تعافى الفرعون؟

= يا مولاتي هو حقًا قد أفاق من غيابه ولكن حال جسده ما زال سيء ويسوء كل يوم أكثر، التسمم الذي حدث له بعد كسر فخذه، يسري في الجسد ولا شيء يستطيع أن يوقفه.

اختفى التفاؤل من قلب عنخ وكسى وجهها السواد، وسعت حدقيتيها من هول ما قاله الطبيب:

_ ماذا تعني أيها الطبيب؟ تعني أنه لا أمل؟

وماذا تفعل أنت إذن ؟ لماذا لا تضع حدًا لهذا التسمم؟ ماهي وظيفتك إذن؟

صمت الطبيب لبرهة، فأمرته بالانصراف، نظرت عنخ إلى توت في حزن يغلبه الشفقة، انحنت تقبل جبينه قبلات متتالية، استشعرت حرارة جسده وقد ازدادت .

أخذت تضع قطعة من القماش المغموسة في الماء البارد على جبهته لتخفض حرارة جسده . باتت ليلتها تمرضه وترعاه ودموع عينيها لم تجف ولم يتوقف لسانها عن ذكر الترانيم الدينية استجداءًا للآلهة.

كانت سرعان ما تتبادل حرارة جسده مع حرارة قطعة القماش فتعلو حرارتها بشكل ملحوظ. ترفعها من على جبهته لتكرر ما تفعله في كل مرة.

وقبل أن تضعها ثانيةً فتح الفرعون عينه مرة أخرى، نظر لها في ضعف شديد، همت بالحديث ولكنه وضع يده على فمها كي تنصت .. فقبلتها،

= اسمعيني يا عنخ، فليس هناك وقت للحديث، ربما لا أستطيع إكمال حديثي فلا تقاطعيني، هزت رأسها موافقة، فأكمل..

= أريدك أن تسامحيني، أنا لم أعشق غيرك طوال حياتي، ولم أكن أريد إيلامك، سامحيني يا حبيبتي، أنا أحبك يا عنخ، أحبك كثيرًا، كان حبك يستحق أن أعيش له، وأن أتوسل للموت أن يتركني معك، ولكنه أبى أن يقبل يا عنخ. اسمعي ما سأقوله ونفذيه ولا تتقاعسي، اهربي يا عنخ فأنا أحتضر، لم يتبق لك أحد يحميك، اهربي ولا تعودي إلى مصر ثانية .

وقبل أن ترد هي على كلامه وتخبره بأنها قد سامحته وأنها ستنفذ ما قد أمرها به، كان الفرعون قد أغمض عينيه .

ولكن هذه المرة قد ثبت صدره، لم يعد يرتفع ولا يهبط، توقف نبضه ..

أو نبضها، فكان للعاشقين قلب واحد، أغمض حبيبها عينيه للأبد، غربت شمس حياتها بلا شروق من جديد .

هل خريف عمرها ليسقط آخر ورقة في شجرة حياته

مات الفرعون،

مات العاشق،

ليترك خلفه عنخ جسد بلا روح، قلب بلا نبضات ،

زهقت روحه وأسدل الليل ستائره السوداء على حياة عنخ ،

مات الفرعون الصغير وتركها وحيدة في ظلمة الليل وسط صحراء مليئة بالوحوش الضارية، وعلى عينيها غمامة عشق قضى نحبه وشيع في نفس تابوته،

فهل ستنجو؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

٤
(كليوباترا)

كليوباترا .. ايقونة الانوثة عبر العصور .. ملهمة الشعراء والفنانين والقصاصين ..

كليوباترا مضرب المثل في قوة تأثير الحسن والجمال على مسار التاريخ..

كليوباترا المسلطة اللعوب كما يراها البعض .. شهيدة العشق الوفية المخلصة كما يراها اخرون..

كليوباترا.. تلك المرأة التي ركع أمامها أعاظم قياصرة روما، والتي تفرز خليطًا ما بين السم والعسل، اقترن اسمها بذكر الحية، فمن استطاع ترويض الحية حتى أحبته، تراقصت له على نغمات عزفه ومن كرهته أهدته قبلة سامة بين عينيه، وإن كانت كليوباترا احترفت تسديد السهام السامة إلى قلوب الرجال مستعينة بنعومتها وصلابتها، وقوتها وضعفها في آن.

حفيدة الإسكندر الأكبر، وريثة القوة وعزة النفس، ففي جيناتها تكمن الصلابة والشموخ والطموح اللا متناه مختلطًا بالرومانسية ونعومة الأنثى.

على وقع نبضات الرعب التي تصرخ بها قلوب الأعداء، كانت تتمايل كليوباترا وتطرب أذنها .

تلك المتفردة التي جمعت من الصفات ما عجز العالم عن استيعابه، يصعب اختزال كيانها في لقب يسبق اسمها، حلمت بأن تتربع منفردة على عرش العالم، وتملك بين يديها زمام الشرق والغرب ، أطلقت لخيالها العنان ولم تقيده يومًا بالواقع .

هي المرأة الأشهر على وجه الأرض، والأقوى من بين نساء الكون.

ولأن كليوباترا كانت شعله من نور ونار، فقد اعتلت أعلى منارات العالم، منارة الإسكندرية وجلست على عرشها، ترسل من نورها ونارها، تضيء طريق البعض وتحرق بلهيبها آخرين.

سرقت من الأنوثة سحر طلتها، ومن الرشد خلاصة تعقله، ومن القوة أذرع البطش بمن يفكر يومًا في اعتراض طريق أحلامها، كانت ملكة متوجة على عرش الجمال قبل عرش السياسة والحكم، هل استطاعت كليوباترا أن تصل إلى قمة جبل طموحها وتغرس فوقه علم الًانتصار؟ أم أنه كان للحب رأي آخر؟

منذ عدة أعوام

جلست كليوباترا على عرش مصر مناصفةً مع أخيها (بطليموس الثالث عشر) وذلك بناءً على وصية قد تركها أبوها (بطليموس الثاني عشر) قبيل وفاته، كانت تقضي الوصية بأن تحكم كليوباترا جنبًا إلى جنب مع أخيها والذي يصغرها بثمانية أعوام.

كان أبوها يثق بعقلها وحسن تدبيرها لكل أمر يخص البلاد، ولأن أخاها لم يكن يتجاوز العاشرة من عمره بعد، فقد كانت هي المتحكم الرئيسي والملكة المسئولة عن مصر.

كانت كليوباترا ذات شخصية مبهرة، تتحدث سبع لغات بطلاقة غير أنها كانت فيلسوفة ومفكرة وكثيرة الاطلاع في شتى المجالات، ورغم ما تمتعت به من جمال باهر، إلا أن عقلها كان الأكثر جاذبية.

ولكن ليس هناك مُلكٌ دون حاقدين وطامعين، فقد كان الأوصياء على العرش يحاولون بشتى الطرق الاستيلاء عليه، كل منهم يحاول "أن يستميل إما الملك الطفل، أو الملكة الشابة .

ولأن كليوباترا لم يكن عقلها بتلك السذاجة فلم يستطيعوا استمالته، بل استطاعوا السيطرة على عقل بطليموس وتحريكه بين ايديهم كدمية دون إرادة:

_مولاي الملك بطليموس اسمح لي، انا مشفق عليك من مؤامرات الملكة كليوباترا فقد وصل إلى مسامعي أنها تمهد لإقصائك نهائيًا والانفراد بعرش مصر بمفردها ، أو...! لا أستطيع نطقها يا مولاي، ربما تقوم بقتلك.

(قال أحدهم)

=ولكن كليوباترا لن تفعل ذلك، فهي أبدًا لم تكن لي حقدا أو كراهية.

_عفوًا يا مولاي أنت ما زلت صغيرا جدًا على اكتشاف مثل تلك المؤامرات، إن كان حديثك حقيقيا، فلماذا لا تستشيرك في أي من أمور مصر أو القرارات التي تتخذها بمفردها؟ ألم تر أنها دائما ما تجعلك مجرد صورة كي تتمكن من الجلوس على العرش؟

=نعم تفعل ذلك، حتى إنها لا تسمح لي بالحديث أثناء اجتماعات قادة الجيش.

_أرأيت أيها الملك العظيم ؟ إنها تجهز للإطاحة بك نهائيًا وإن لم نسبقها فلن نستطيع السيطرة عليها.

=إذن، ماذا عليَّ أن أفعل؟

_تطردها من الإسكندرية يا مولاي، تقصيها تمامًا من القصر.

= سأفعل، نعم سأفعل.

سمع (يوليوس قيصر) حاكم روما بالخلاف الناشب بين كليوباترا وأخيها الملك الطفل، والذي أدى بالفعل إلى طرد كليوباترا نهائيًا من القصر الملكي بل من الإسكندرية.

وكان في ذلك الوقت الصراع قائما بين (بومبي) و(يوليوس قيصر) في أقصى صوره والذي انتهى بهزيمة (بومبي) ففر هاربًا إلى مصر.

حينما علم يوليوس قيصر بالخلافات الناشبة في مصر بين ملوكها، قرر الذهاب إلى مصر لفض تلك النزاعات، حيث كانت روما حليفًا قويًا لمصر.

تناهى الى علم بطليموس قرب قدوم القيصر فقرر أن يفاجئه بهدية قيمة _كما نصحه مستشاروه_ طمعا في أن يحظى بمساندته للانفراد بعرش مصر، وصل يوليوس قيصر إلى الأراضي المصرية في موكب مهيب، تشخص إليه الأبصار، وكان في استقباله بطليموس وأعوانه، وكان مستعدًا لتقديم هديته القيمة لحليفه يوليوس قيصر .

أمر بطليموس الحراس بفتح الصندوق الذي يحوي في قلبه هديته للقيصر.

=افتح الصندوق.(قال بطليموس)

فتح الحارس الصندوق أمام القيصر، وإذا بها رأس (بومبي) غريمه، واللاجئ إلى مصر.

_ما هذا؟ من هذا؟

نطق القيصر في ذهول مما رأى

_ إنه بومبي غريمك وعدوك وها أنا أقدم لك رأسه قربانًا وعربون تحالف بيننا.

= وهل طلب منك أحد أن تقتل لاجئ قد لجأ إلى أرضك ليحتمي؟

_ لا لم يطلب أحد ولكني رأيتها الهدية المناسبة لك.

صمت قيصر وداخله الكثير من الاشمئزاز قد كره هذا الفعل، فما فعله بطليموس لا يأتي من رجال، ولم يفعل ذلك أبطال.

ظل قيصر طوال الطريق المؤدي لقصر الملك والذي سيقضي فيه إقامته المؤقتة صامتًا، حتى وصل للقصر ودلف الى الجناح المخصص له، كانت لديه بعض المناقشات الهامة مع معاونيه وترتيبًا لجدول أعماله في اليوم التالي،

حين طلب أحد الموظفين الكبار بالقصر السماح بمقابلته على وجه السرعة، سمح له قيصر بالدخول.

= أي أمر هذا الذي لا يحتمل التأجيل؟

_ سيدي قيصر، قد بعثتني مولاتي الملكة كليوباترا لأسلمك هديتها الخاصة ترحيبًا بوصولكم أرض مصر.

= أين الهدية وما هي؟ أهي رأس آخر قد غُدر بصاحبه؟

_ لا يا سيدي، هدية الملكة عبارة عن سجادة.

= سجادة!!؟

سأل قيصر في تعجب واندهاش شديد.

_نعم يا سيدي.

= وأين هي؟

_ معذرة ولكن أوامر الملكة كليوباترا ألا أقدمها إلا وقد خلت الغرفة إلا منك ومني.

نظر قيصر لأعوانه وتعجب وقال:

=ولم كل هذا الحذر؟

_ هذه الأوامر التي أمرت بها سيدي.

أشار قيصر بيده أن يخرج كل من في الغرفة إلى الخارج، وهو ما زال يتعجب من أمر ملوك مصر، أي هدايا تلك التي قدموها احتفالًا بقدوم قيصر روما..! لا أعتقد أن أحدًا بمثل عقلياتهم يصلح لحكم مصر.

وضع الرجل السجادة على الأرض، وقال:

-أمرتني مولاتي أن أفتح أنا الهدية يا سيدي.

أشار قيصر بيده، أن افتح.

فتح السجادة راحت تفترش الأرض كموج بحر هائج، فظهرت من بين طياتها حورية بحر، مخلوق هو فوق الإنس ودون الملائكة، تغازلها خيوط فضية اللون انسكبت من عين القمر، يتمايل معها قلبه كلما تمايلت، كانت هي الملكة كليوباترا، قد دخلت القصر متخفية في سجادة حتى لا يراها أخوها وأعوانه.

بهت يوليوس قيصر وظل ينظر إليها فاغرًا فاه، أتعجب مما رأى ؟ أم أن جمالها الأخاذ قد سلب عقله وسحر فؤاده؟ كانت كجنية تنادي على المختار لتسلب عقله وتأسر قلبه.

خرجت كليوباترا من السجادة ثم وقفت منتصبة شامخة عالية الرأس وكأنها كانت تجلس فوق كرسي العرش حين دلف قيصر، ولم تخرج لتوها من سجادة!

ما زال قيصر ينظر إليها وعلى وجهه ابتسامة غريبة لا يعرف معناها، راحت تنظر كليوباترا في أنحاء الغرفة المخصصة لإقامة حاكم روما يوليوس قيصر بكل ثقة، فهو قصرها وهو يحل عليها ضيفًا .

كانت لأول مرة تلتقي أعينهما، ولكن كليوباترا لطالما حلمت بهذا اللقاء، فكانت كثيرًا ما تسمع عن إنجازات ذلك السياسي اللامع حاكم روما الشهير (يوليوس قيصر) وانتصاراته وحنكته في إدارة كافة الأمور من

(أنطونيو) صديق أبيها وصديقها المقرب فهو كان دائم التردد على مصر وقصر الملك، كانت قد اتخذت قرارها بأن تحقق حلمها في أن تحكم العالم عن طريق قلبه، فما من طريق آخر لهزيمة رجل كيوليوس قيصر إلا الغرام.

كان قيصر يكبرها بأعوام كثيرة، بل كان في عمر أبيها ولكن هيئته وبنيان جسده تنم عن محارب مقدام وليس رجلا صال العمر على جسده وجال.

وقعت كليوباترا في غرامه منذ الوهلة الأولى، أما هو فلم يعد يدري ماذا أصابه ! أهي لعنة الفراعنة أم لعنة عينيها؟ ولكن كل منهما كان لديه من الكبر ما يمنعه أن يظهر ذلك.

جلس قيصر وكأن شيئًا لم يكن .

فبادرته:

= هل سمحت لك بالجلوس؟

_ ماذا؟

= أنا كليوباترا ملكة مصر، هل أعطتك الملكة الإذن بالجلوس في حضرتها؟

_ ولكن أنت من أتيت وهذه غرفتي.

= لا ..بل أنا ملكة مصر وأنت هنا ضيف، وعليك الالتزام بقوانين

ملكة البلاد وسيدة القصر.

نهض قيصر من جلسته ثم اقترب منها وبعين كل منهما تحد يكاد يعصف بجيش كامل مدربة جنوده.

_ هل ستخبرينني ماذا أتى بك إلى هنا؟

= أتيت لأنك تحتاج دعمي.

ضحك قيصر ساخرًا وقال:

_أأنا من يحتاج الدعم؟

=نعم .. أنت

_وكيف ذلك؟

= أنا أعلم الأزمات التي تمر بها روما، وأنت تعلم أن مصر هي سلة غذاء العالم، وأعلم أنك هنا لتضع يدك على مصر.

لمعت عينا قيصر من شدة إعجابه بذكائها الظاهر .

_ وأنت؟ ألم تحتاجي الدعم؟

= بلا شك أحتاج مساندتك ليعود لي عرشي، ولكن هذا ليس جميلًا منك، بل ردًا للجميل.

بات قيصر ليلته لا يدري ماذا أصابه فقد أحس بشعور يدب في بهو قلبه الحصين، شعور لم يعتده أو يجربه من قبل، أهو الحب الذي يصفونه ؟

أم أنه فيضان من الانبهار المختلط بالإعجاب الشديد؟

لم تكن لتخفى على كليوباترا نظرات الإعجاب التي تسللت خلسةً من أعين القيصر دون أن يدري، فهي على يقين من أنه أوشك على السقوط في شباكها الحريرية وقد أصبح حكم العالم وشيكًا.

*****

في اليوم التالي طلبت كليوباترا مقابلة قيصر، لتطرق على الحديد وهو ساخن، فلطالما كانت خططها مدروسة وخطواتها محسوبة.

حاول قيصر السيطرة على هذا الشعور المرعب وألا يظهر لها أي خنوع، فقام بتأجيل المقابلة بحجة عدم تفرغه لها.

ولكن ما أن بزغ نهار يوم جديد، حتى ذهب قيصر إلى الجناح الخاص بكليوباترا مرتديًا أفخر دروعه وأزيائه.

كانت كليوباترا كعادتها تبدأ يومها بحمامها الذي ما أتى مثيله في العالم، فلطالما ضرب بحمام كليوباترا المثل، كانت كليوباترا مسترخية داخل مسبحها المرصع بالأحجار والذهب مملوء بالحليب وعسل النحل والذي يسبح على سطحه أوراق الورد الأحمر البلدي ليكسب بشرتها النضارة الدائمة، وتقف الوصيفات ليدلكن جلدها الناعم بخلطات لطالما كانت سرًا من أسرار الجمال الفرعوني الخاص بكليوباترا أيقونة الجمال.

دلف أحد الخدم إلى حمامها وكان يفصل بين الباب والمسبح حائط ذهبي يقف خلفه من أراد التحدث معها:

= مولاتي، يريد سيدي يوليوس قيصر مقابلتك.

_ أخبره أني منشغلة الأن بحمامي سأرسل في طلبه عندما أكون على استعداد لمقابلته.

كان جواب كليوباترا ردًا صارمًا على تأخره عن المقابلة حين طلبته.

خرج الخادم وأخبر قيصر بردها، لم يعطه اهتمامًا ودخل إلى حمامها دون إذن.

= أريد التحدث إليك بخصوص الحكم وفض النزاع بينك وبين أخيك.

_ تحدث إذن.. إني أسمعك.

=سنحتوي كل تلك الخلافات وتعودان لاعتلاء العرش سويًا.

_ كليوباترا لا تقبل بأنصاف الحلول أيها القيصر العظيم، سأجلس على العرش منفردةً ولن يكون لي شريك، وهذا دورك أنت، فأنا أعلم أنك قادر على تنفيذ طلبي، فمن قاد أعظم جيوش روما، قادر على إعادة عرشي لي دون خسائر.

كانت روائح عبيرها تحيط به فتجعله يسكر دون كأس، شعر وكأنه ينصهر في عبق شذاها، اجتاحت قلبه رياح دافئة، ذاب في صرح من خيال وكأن رجولته قد تربت على خصرها، استفاق من سكرته وخرج مسرعًا إلى جناحه حتى قبل أن يكمل حديثه، كي لا ينفضح أمره.

عندما غفت الشمس واستفاق القمر ليقوم بدوره في نثر أشعته الفضية على أرض مصر وإضاءتها، ذهبت كليوباترا بمفردها إلى جناحه، دلفت دون إذن وكان قيصر منهمكًا في دراسة خريطة مصر، لم يشعر بقدومها، إلا أن عطرها وشى بحضورها، فقد أحاطه بشرنقة من شذاها، لم يشعر قيصر إلا وهو مغمض العينين، محلقًا في سماء عالمها، فتح عينيه واستدار لها، وإذا بها في أبهى صورها، حورية هبطت عليه لتربك كيانه، هفت روحه إليها، عانقتها، علت خفقات قلبه على وقع تدفق الدم في أوصالها، داعبت أنوثتها الطاغية المتأججة نسمات ربيعه، نحت خريف عمره جانبًا، أخذته عبر أروقة الزمن عائدة للخلف عشرين عامًا أو يزيد.

نطقت كليوباترا وإذا ببلابل الدنيا اجتمعت لتغرد في لحظة واحدة، اختفت نبرة الكبرياء، وحلت محلها نعومة الأنثى العاشقة، فقد كانت شراستها ما هي إلا اخفاءً لقلب هش قد اخترقه الحب، كانت لكلماتها وقع الخمر، فسرى في أوصاله مسكرًا جسده، مخدرًا أعصابه.

= سيدي يوليوس قيصر.. جئت أشكرك على موافقتك لمساندتي، فمن غيرك سينقذ عرشي ويمد لي يد المساعدة؟

مدت كليوباترا يدها وأمسكت بيده،

= كم كانت تلك اليد دائمًا خير عون لي ولأبي .

رفعت يده ووضعتها على وجنتها، وهمت بالحديث.

إلا أنه لم يمهلها أن تكمل حديثها فجذبها بقوة إلى صدره وضمها إليه، وضع يده أسفل ذقنها ورفع وجهها إليه وطبع قبلة طويلة على شفتيها فإذا بها تروي ظمأ قلبه المتعطش، تسقي جوارحه عشقًا لتدب فيها الروح .

تصبب جبينه عرقًا من فرط لذته، وضع يده على كتفها وأزاح ثوبها الأبيض المتخصر على جسدها الممشوق فسقط أرضًا وسقط قيصر معه في عشق الملكة، اقتحم القيصر قلاع قلبها وجسدها ورفعت هي راية الاستسلام.

باتا ليلتهما في جناح قيصر، تكررت لياليهما معًا يملؤها العشق واللذة. وكأن لياليهما كانت جمرة قد ألقيت على كومة قش، فقد تناثرت أخبارها كانتشار الدخان في هواء الإسكندرية وساعد على زيادة التوهج والتأجج، أوصياء أخيها اللذين حرضوا جماهير الإسكندرية ضد كليوباترا، وزحف الجيش الموالي لهم وحاصروا قيصر وكليوباترا في القصر الملكي، فبدأت

حرب الإسكندرية والتي حسمت لصالح القيصر بعد أن وصلته النجدات، انتهت الحرب ولكن بموت الملك (بطليموس الثالث عشر) وأعوانه.

شاركها في الحكم من بعده أخوها الأصغر (بطليموس الرابع عشر) وكان لا يزال طفلا.

قدم قيصر عرش مصر فارغًا إلى كليوباترا على طبق من ذهب، بدلًا من أن يفرض سطوة روما على مصر وهذا ما قد أتى من أجله. إلا أن للحب أقوالًا مغايرة لما نريد، فمن ذا الذي يستطيع عصيان أوامره؟

بعد ثلاثة أشهر من وجود القيصر بجوار كليوباترا، وذات صباح..

= كليوباترا.. حان وقت عودتي إلى روما، ولا أعلم كيف سأقوى على فراقك؟ (قال قيصر)

_ ولكني أحمل ابنك بين أحشائي يا قيصر

لم يكن القيصر لديه أبناء فكانت امرأته عاقرًا ولم تنجب، سمع ما قالته كليوباترا، تحرك قلبه بين جنبيه، انفرجت أساريره وعلت وجهه ابتسامة شوق لضيف لطالما تمنى لقاءه، وكأن سحابات الشتاء انفلجت لتكشف عن شمس صيفه الدافئة، عادت الحياة تدب في أيامه من جديد، تركت قدماه الأرض لم يعد يلمسها وحلق في سماء كليوباترا.

ولكنه ما لبث أن عاد إلى أرضه فقد تذكر أن عليه العودة إلى روما.

خاصة بعدما طارت الأخبار إلى هناك بأن يوليوس قيصر سلم مصر لكليوباترا ولم ينفذ مهمته إرضاءً لها، وأنه قد وقع في حبها، فاستشاط أقرانه غضبًا ونبذه الشعب وكرهوا أيضًا كليوباترا، تلك المرأة التي غزت قلب قيصرهم الحصين. عاد ونظر إلى كليوباترا وقال:

=سأعود لا تقلقي سأعود لأحمله بين ذراعي وأضمه بقلبي.

*****

غادر قيصر مصر وظلت كليوباترا متربعةً على العرش. مرت أربعة أعوام و حصل قيصر على لقب عالمي لأول مرة وهو لقب (ديكتاتور) ولكن كان أحب الألقاب إلى قلبه هو لقب (امبراطور)، أرسلت كليوباترا لقيصر تخبره بأن ابنه قد أتم عامه الرابع واسمه (سيزاريون=القيصر الصغير) والذى لم ير والده قط، رد قيصر على رسالتها برسالة كتب فيها:

حبيبتي كليوباترا: بعد التحية..

كم اشتقت إلى عطرك وشذى أنفاسك ودفء أحضانك، اشتقتك يا حبيبتي وأتمنى أن ألقاك قريبا، وفي خطبتي أمام مجلس روما القادم سوف أعلن عن زيارتكما لي في روما وعن أنك زوجتي و سيزاريون ابني أراك قريبًا يا حبيبتي. يوليوس قيصر.

*****

ولكن قيصر وجد معاندةً ورفضًا شديدين من أهله قبل مجلس روما نفسه وكان على رأسهم ابن أخته (أوكتافيوس) ولكنه كان مازال قادرًا على احتواء كل تلك المشاكل حتى هذا الوقت.

وجاء يوم ذهاب كليوباترا إلى روما وحضور الاحتفال الكبير... وصلت إلى روما في موكب مهيب لم يحدث على وجه الأرض من قبل، واستقبلها القيصر استقبالًا حافلًا لم تعهده روما قط، كانت كليوباترا ترتدي زيًا فرعونيًا من الذهب الخالص كان له من القيمة مالم يستطع أحد تقديرها، وتاجًا ذهبيًا يعلوه ثعبان الكبرى رمزًا للقوة، أما عن مركبتها.. فكانت بناءً متحركًا أشبه بسفينة برية، يجرها رجال ذوو بنيان شديد، عليها من التماثيل الفرعونية ما يسحر العقول.

اجتمع جمال كليوباترا مع فخامة موكبها ورونق طلتها لينتج خليطا مبهرًا جعل كل أبناء روما يقعون في حب تلك المتفردة. حقًا نجحت كليوباترا في اكتسابهم بصفها من الوهلة الأولى، وكان (مارك أنطونيو) صديق أبيها وصديقها المقرب وقائد جيوش روما حاضرًا الاحتفال وكأنه لأول مرة يراها بهت أنطونيو من جمالها وبهاء طلتها وذكائها المتمثل في طريقة ظهورها للرومانيين، وفي هذا الاحتفال وقف قيصر وأعلن بأن

كليوباترا زوجته وأن هذا الطفل هو (سيزاريون) ابنه ووريث عرش روما، ومن هنا بدأت المشاكل والانقسامات فكيف يجبرهم قيصر على وريث عرش لأم مصرية؟

*****

كان قد تحدد موعد مجلس روما القادم، لم تكن كليوباترا مطمئنة لما سوف يحدث، كانت تخشى بطش أعضاء المجلس بقيصر زوجها وأبو ابنها وسندها الوحيد الأن.

حاول قيصر أن يطمئنها ولكنها ظلت مرتبكة.

كان يوليوس قيصر قد قضى فترة كبيرة في صفقات سياسية متشابكة ومعقدة ومواءمات لإنشاء تحالفات كبيرة لها من القوة في داخل المجلس بما تجعل كفته هي الكفة الراجحة .. وكان معه في تصميم هذه التحالفات وانتقاء الحلفاء المخلصين صديقة المقرب (بروتس) .. والذي بدورة قد اصابته لعنة كليوباترا التي لم تترك احدا فما بين حب حتى الثمالة وعشق جائر يفقد عقل المحب صوابه ،وبين كراهية مطلقة تجعلها في اعين كارهيها هي صورة مجسدة للشيطان ذاته ..

لكن العلاقة القوية التي كانت تجمع الصديقين والقائدين الكبيرين يوليوس قيصر وبروتس كان لها اثر كبير في اطمئنان القيصر لمثال الامور ..

ولطالما صرحت كليوباترا ليوليوس قيصر عن عدم ارتياحها لتلك التحالفات التي يرتكن هو اليها في تدبيره السياسي .

حيث كانت تعلم ان ايمان الرجال بيوليوس قيصر لا يكفي لدفع انتمائهم لعرش وطنهم الذي كانت كليوباترا قاب قوسين او ادنى من التربع عليه وهي المرأة الاجنبية التي لا يرضونها شريكا في حكم بلادهم ولو كان شريكها هو يوليوس قيصر بذاته وحيث كان يوليوس قيصر مطمئنا الى وجود الاسطول المصري الذي اتي مرافقا لكليوباترا غير بعيد عن شواطئ روما فقد شعر بالخوف من التصدي اليه شخصيا ومحاولة اغتياله رغبة في الخروج من الازمة مع تحييد القوة البحرية المصرية التي كان متوقعا ان تناصر قيصر حتى النهاية ولكن بروتس طمأن قيصر الى بعد ما يفكر فيه من ارض الواقع ولكن كليوباترا كانت بغريزتها الانثوية والملكية والسياسية المخضرمة تستشعر ما يدور في الخفاء وكأنها تراه رأي العين، وقد بالغت في تحذير القيصر، وقد كانت على حق، فعندما وصل قيصر إلى باحة مجلس روما، اجتمع عليه أعضاء المجلس وطعنوه طعنات متتالية بخناجرهم وكأنه خائن لبلاد روما.

وقد تحلق القواد واعضاء المجلس حول قيصر وانهالوا عليه بالطعنات على درجات سلم المجلس وقد ظل قيصر وقفا يرمق جراحة فى ثبات وكبرياء ثم نقل بصره الى صديقه بروتس الذي كان بين المتحلقين حوله لكنه لم يستل خنجره حتى ليدافع عنه امام طعناتهم وبنظرة عتاب رمقه وهو يجاهد جسده كي لا يخذله فى موقف كهذا لكن بروتس استل خنجره وطعن القيصر مباشرة في قلبه ..

اختلط شعور الأسى بالألم والعتاب وقال بصوت ممزوج بالموت لكنه مسموع للجميع: حتى انت يا بروتس ؟

ثم انهار جسده وقد فارقته الروح

وكأن كليوباترا كانت تسكن حقيقة داخل قلب القيصر فقد اصابها من الطعنات ما اخافها الى اقصى حد

ولأول مرة يعرف الرعب طريقه إلي قلب كليوباترا، شعرت وكأنها وحيدة وسط صحراء جافة تنعق فيها الوحشة و تتقافز فيها أمامها الغربان.

قررت كليوباترا الهروب إلى مصر فأمرت بتجهيز مركب صغير في السر دون أن يدري أحد خوفًا على حياتها وعلى حياة ابنها.

وقد ساعدها في ذلك صديقها أنطونيو.

= سأحضر قريبًا إلى مصر لأطمئن عليك وعلى الطفل، لا تخافي يا كليوباترا فلن أتركك وحدك.(قال أنطونيو)

_ توخ أنت الحذر يا أنطونيو، لو علم أحد أنك من ساعدتني على الهروب من روما لقتلوك، لم يبق لي غيرك يا انطونيو، فرجاءً .. كن حذرًا.

= سآتي قريبًا يا كليوباترا لا تقلقي.

وشقت مركب كليوباترا سواد الليل وراحت تبحر في بحور التيه علها تجد وجهتها إلى مصر.

*****

بعد مقتل يوليوس قيصر تم تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى شرق وغرب كان الشرق بما فيه مصر من نصيب أنطونيو، كان طبيعيًا أن تصبح كليوباترا تحت سلطة السيد الجديد أنطونيو، ولأن كليوباترا لم تعتد على أن تكون تحت سلطة أي كان، فقررت أن يصبح أنطونيو حليفًا لها بدلًا من أن تنضم مصر للإمبراطورية الرومانية.

كان أنطونيو قد أرسل في طلبها عندما وصل إلى مدينة (ترسوس) ولكنها أبت الانصياع، ولكن أمام احتمالية خضوع مصر للإمبراطورية الرومانية فعليها التنازل بعض الشيء ولكن أيضًا ... بكبرياء.

أمرت كليوباترا بإعداد سفينة ملكية ضخمة، أشبه بالقصر، كانت مطلية بالذهب بأكملها ومجادفها من الفضة، كي تبحر بها من الشواطئ المصرية، موليةً قبلتها إلى داعمها الجديد (أنطونيو)

كانت تتمايل السفينة الذهبية على صفحة مياه البحر كعروس فرعونية في يوم عرسها، تخطف الأنظار ببهائها وتخطف القلوب بقيمتها ورقيها.

وصلت كليوباترا إلى وجهتها، وصلت حيث يوجد أنطونيو،

يقف أطونيو وأتباعه يتابعون هذا العرس الفرعوني في ذهول، فمن جديد تخطف كليوباترا قلب أنطونيو وتسلبه عقله بطلتها وشموخ حضورها. بعثت أحد خدامها إلى أنطونيو على اليبس ليدعوه لحفل عشاء على السفينة الملكية، فكان رده أنه ينتظرها في قصره ليتناولا العشاء.

ولكن كليوباترا أبت الترجل من سفينتها وقالت:

= أنا ما زلت على أرضي المصرية فليصعد أنطونيو لمقابلتي.

صعد أنطونيو إلى السفينة الملكية وبهر بما فيها من روعة وبذخ في كل تفاصيلها وكانت كليوباترا قد أعدت حفلا غاية في الفخامة لاستقباله على أرضها كما قالت .

وقف أنطونيو يتأمل كل ما على هذا القصر البحري، حتى ثبتت عيناه على حورية البحر كليوباترا.

كانت تخرج من خلف ستائر حريرية بيضاء وكأنها فراشة نورانية ناصعة البياض في طورها الأخير، خرجت لتوها من شرنقة حريرية، ترفل في جنبات بهو سفينتها، تضرب بجناحيها فتهيل عليه من العشق ما يأسر قلبه.

=كليوباترا!!

_سعيدة لرؤيتك ثانيةً يا أنطونيو.

= أي ملكة أنت؟ كيف لك أن تسلبي العقل والقلب بطلتك؟

_ تأبى كليوباترا أن تسكن إلا في قلوب العظماء يا أنطونيو،

لابد لكي أكون سفينة أحلام، أن يكون من أحب هو البحر بذاته.

= إذن.. أدعوك للغرق ببحري يا كليوباترا.

_ كليوباترا لا تغرق يا أنطونيو، كليوباترا يحتضنها البحر بين أمواجه، وليس في أعماقه وسط الظلام.

= إذن.. إلى أين وجهتك يا كليوباترا؟

_ أبحرت لأقف بمنتصف بحرك، فهل احتضنتني بأمواجك؟

انتاب أنطونيو شعور بفقدان نفسه، شعر وكأنه يتلاشى في وجدانها، ذاب كذوبان الملح في ماء البحر، إذن كليوباترا هي البحر وهو يشعر بالغرق .

شيء خفي يسحب قدميه للأعماق لم يعد يقوى على أن يسبح ضد تيار عشقها، أغمض عينيه وترك روحه تستسلم للغرق في حبها اللذيذ.

كانت كليوباترا تنظر في عيني أنطونيو وكأن فيهما سحرا يلقي بتعويذات الحب مباشرة على قلبها، يعرف طريقه فلا يحتاج لعقل يوجهه، فتحت أبوابه وقالت على الرحب والسعة،

لم تكن قد ذاقت هذا الحب من قبل كان كعقار تناولته فسرى في جسدها كمخدر، لمس أنطونيو شغاف قلبها واستوطن تحته حتى غلب عليه وأسره.

أكمل أنطونيو وكليوباترا العروض المجهزة لاستقباله حتى جاء موعد الرحيل، أبت كليوباترا أن تتركه يترجل من سفينتها ، فكانت أولى لياليهما .. كعاشقين.

*****

عادت كليوباترا إلى قصرها الملكي، وقد تبعها أنطونيو بعد فترة قصيرة، وأعلن رغبته في الزواج منها ورغبته في تربية الطفل (سيزاريون) ابن حبيبه وصديقة قيصر. ساعد أنطونيو كليوباترا في استعادة عرشها دون منازع فقد حرر لها مصر من تحت ولاية الإمبراطورية الرومانية.

كان العاشقان يعيشان حياة ملؤها الحب، فكل منهما وجد وجهته التي انتظرها عمرًا بأكمله، أنجبت كليوباترا لأنطونيو ثلاثة أطفال منهم توأم (اسكندر وبطليموس)، ولكنه عاد إلى روما ليساعد أكتافيوس في حروب في أوروبا وخاصة مناطق فرنسا وأسبانيا، وكان قد مر عشرة أعوام جاهد فيها أنطونيو أن تظل علاقته بكليوباترا سرًا فقد كانت القوانين الرومانية تمنع الزواج من امرأة ليست رومانية، وكان أنطونيو متزوجًا بالفعل من أخت أغسطس، وبزواجه من كليوباترا قد ضرب بقانون روما عرض الحائط. حتى جاء اليوم وعلم أغسطس بعلاقته بكليوباترا، فقرر أن يعلن خيانة أنطونيو لروما بأسرها، كي يتخلص منه حيث كان هو العقبة الوحيدة أمامه لحكم روما بأكملها منفردًا.

كان أنطونيو قد ترك مصر لكليوباترا، كما ضم إلى مدينة الإسكندرية بعض الولايات الرومانية بناءً على طلب كليوباترا، غير أن كليوباترا قد أصبحت مكروهة في روما فقد سيطرت على قلبي أعظم رجلان بها، سخط الشعب على أنطونيو، فهرب إلى مصر.

حتى جاء اليوم المشؤوم الذي قام فيه أغسطس بعمل حصار على مصر وبالتالي على كليوباترا وأنطونيو، فنشبت معركة (أكتيوم البحرية) كان يود أنطونيو كسر الحصار ولكنه خسر الكثير من سفنه الحربية، حاول محاولات

يائسة للتصدي لقوات أغسطس ولكن..دون جدوى .

وصلت أنباء الهزيمة إلى مصر وعلمت كليوباترا أن قوات (أغسطس) قيصر روما الجديد قد وصلت إلى مشارف الإسكندرية .أخذت ابنها وتخفوا عن عيونهم علها تستطيع الهرب.

عندما وصل أنطونيو إلى الإسكندرية ثانيةً استقبلته الأخبار كذبًا أن كليوباترا قد قتلت.

كان حب أنطونيو لكليوباترا يفوق قدرته على التفكير، لم يكن لديه القوة على أن يدرس خطواته، فقد خسر الحرب وخسر كل من بروما وخسر وطنه وأيضًا خسر حبيبته الذي باع كل شيء من أجلها،

اذا ماذا بقي لأنطونيو؟ لا شيء.

جسمت كل هذه الكوارث على صدره فما عاد يقوى على العيش بكل هذا العار والخذلان والفراق. توقف عقله عن التفكير للحظة، لم يعد يرى سوى صورة حبيبته متخيلًا أنها قد فارقت الحياة، استل سيفه ثم ارتكن بمقبضه إلى الحائط واضعًا ذؤابته على صدره ثم ألقى بثقل جسده عليه فاخترق صدره ...وحرر روحه.

زهقت روح أنطونيو شهيد الحب ولم تجد من يشيعها.

وصل خبر انتحار أنطونيو إلى كليوباترا مع وصول أغسطس إلى مخبأها، أمرت خادمتها بإحضار ثعبان الكوبرا ، فلطالما كان رمزًا للقوة، أما الآن...! فهو رمزًا للفراق.

أمسكت كليوباترا بالكبرى ونظرت لها استجداءً أن تخلصها من حياتها التي خلت من حبيب، تخلصها من أسر على يد عدو يتوق لإخضاعها وإذلال كبريائها، فلطالما كانت حريتها أغلى لديها من الحياة بأسرها،

بل تخلصها من حياتها التي كانت بمثابة نهر ترتوي منه حياة كل من عشقها، قبلت الكوبرا استجدائها وأهدتها قبلة الموت، لدغتها في صدرها، فسرى السم في أوصالها، ذهبت كليوباترا لتلاقي حبيبها في عالم أخر ليس به حروب أو ممالك أو صراعات.

مات العاشقان على وعد بلقاء آخر، لم يحدد له موعد.

يا لسخرية القدر من قصة عشق خطت بدماء العاشقين.

طبعت بمطابع

١٧ ش أحمد بن حنبل – مدينة نصر – القاهرة